رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

شرح

لامية ابن الوردي

المعروفة بـ

"نصيحة الإخوان ومرشدة الخلان"

لسراج الدين عمر بن الوردي

(ت ٧٤٩هـ)

وهو مختصر للشرح المسمى

"فتح الرحيم الرحمن"

للشريف مسعود بن حسن بن أبى بكر الحسيني القناوي الشافعي

(ت ١٢٩٥هـ)

اختصار وتدقيق

طارق الأشهب
من أبناء الأزهر الشريف







٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة - ت : ٣٩٠٠٨٦٨


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

شرح
لامية ابن الوردي

المعروفة بـ

«نصيحة الإخوان ومرشدة الخلان»

لسراج الدين عمر بن الوردي

(ت ٧٤٩هـ)

وهو مختصر للشرح المسمَّى

فتح الرحيم الرحمان

للشريف مسعود بن حسن بن أبي بكر الحسيني القناوي الشافعي

(ت ١٢٩٥هـ)

اختصار وتدقيق

طارق الأشهب

من أبناء الأزهر الشريف

مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة - ت : ٣٩٠٠٨٦٨



جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة

لدار الكتب والوثائق القومية إدارة الشئون الفنية

ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر، ٠٠٠ - ١٣٤٨
شرح لامية ابن الوردي ، المعروفة،
نصيحة الإخوان ومرشدة الخلاق لسراج الدين
عمر بن الوردي. وهو مختصر للشرح، المسمى، فتح الرحيم
الرحمن / لمسعود بن حسن بن أبي بكر الحسيني القناوي؛
اختصار وتدقيق طارق الأشهب.-
القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٧
١١٢ ص ؛ ٢٠سم
تدمك: ٨ ٨٣٩ ٢٤١ ٩٧٧
١- الشعر العربي - تاريخ ونقد
أ- القناوي، مسعود بن حسن بن أبي حسن
، ... - ١٧٩١ (مختصر شرح) أ - العنوان
٨١١,٠٠٩

الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

الناشر

مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الاوبرا - القاهرة

هاتف ٣٩٠٠٨٦٨ (٢٠٢) -

e-mail: adabook@hotmail.com

عنوان الكتاب: شرح لامية ابن الوردي
سراج الدين عمر بن الوردي

رقم الإيداع: ٧٢٣١ لسنة ٢٠٠٧م

الترقيم الدولي: I.S.B.N. 977 – 241 - 839 – 8



كلمة المدقق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبينا محمد ﷺ، صلاةً دائمةً مباركة طيِّبة عليه وعلى آلِ بيته وعلى كلٍّ من اقتفى أثره إلى يوم الدين.

وبعد.. فالكلمة في الإسلام لها شأنٌ كبير؛ فبها خلَق اللهُ تعالى خلقَه، وبها صلاحُ الفرد وفساده؛ فرُبَّ كلمةٍ طيِّبة مِن رضا الله تعالى تجعل الإنسان في أعلى علِّيين، ورُبَّ كلمةٍ خبيثة من سَخط الله تعالى يهْوي بها قائلُها في النار أربعين خريفًا. والشِّعر كلامٌ جميل مركَّب مُتناسق مع بعضه تناسقًا بديعًا، ترق له القلوب، وإن منه لَحِكَمٌ؛ كما قال ﷺ: «إن من الشعر لَحِكمة»، ولامية ابن الوردي من هذا النوع؛ إذ تحوي حِكَمًا ومواعظ جليلة القدر عامة النفع، للعلاَّمة الفاضل عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس الحلبي الشافعي البكريِ الصدِّيقي، ولقد قام بشرحها الشريف مسعود بن حسن بن أحمد بن أبي بكر ابن حسن بن سباط الحسيني القناوي الشافعي رحمهما الله تعالى. ولقد أشارت عليَّ مكتبة الآداب جزاها الله عن الإسلام والمسلمين خيرَ الجزاء أن أختصر من شرحها تيسيرًا على إخواني من المعاصرين، ملتزمًا بألفاظ الشارح لِمَا لها من قوةٍ في اللفظ ودقة في المعنى والشرح، مع تخريج الآيات القرآنية والعناية التامة بها والأحاديث النبوية الشريفة، وضبط بعض الكلمات، وإضافة التعليقات إن استدعت إليها الحاجة.

واللهَ أسأل أن يجعله في ميزان حسنات كلٍّ من ساهم في إخراجه، وأن يغفر لنا ما كان فيه من زلل أو خطأ، إنه نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

طارق الأشهب

رقّمه
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

لامية ابن الوردي

١- اعْتَزِل ذِكْرَ الأغاني والْغَزَلْ ... وقُلِ الفَصْلَ وجانِبْ مَنْ هَزَلْ

٢- وَدَعِ الذِّكْرَى لأيَّامِ الصِّبا ... فَلأيَّامِ الصِّبا نَجْمٌ أفَلْ

٣- إنّ أهْنَأ عِيشَةٍ قَضيْتَها ... ذَهَبَتْ لَذّاتُها والإثْمُ حَلّْ

٤- وَاتْرُكِ الغَادَةَ لا تَحْفَلْ بِهَا ... تُمْسِ في عِزٍّ وتُرْفَعْ وتُجَلْ

٥- وَالْهَ عَنْ آلَةِ لَهْوٍ أطْرَبَتْ ... وَعَنِ الأمْرَدِ مُرْتَجِّ الكَفَلْ

٦- إنْ تَبَدَّى تَنْكَسِفُ الشَّمْسُ في الضُّحَى ... وإذا ما مَاسَ يُزْرِي بالأسَلْ

٧- زَادَ إنْ قِسْنَاهُ بالبَدْرِ سَنًا ... أو عَدَلْنَاهُ بغُصْنٍ فاعْتَدَلْ

٨- وَافْتَكِرْ في مُنْتَهَى حُسْنِ الّذي ... أنْتَ تَهْوَاهُ تَجِدْ أمْرًا جَلَلْ

٩- وَاهْجُرِ الخَمْرَةَ إنْ كُنْتَ فَتى ... كَيْفَ يَسْعَى في جُنُونٍ مَنْ عَقَلْ

١٠- واتَّقِ اللهَ فَتَقْوَى اللهِ مَا ... جاوَرَتْ قَلْبَ امرِئٍ إلا وَصَلْ

١١- لَيْسَ مَنْ يقْطَعُ طُرْقًا بَطَلاً ... إنما مَنْ يَتَّقِي اللهَ البَطَلْ

١٢- صَدِّقِ الشَّرْعَ ولا تَرْكَنْ إلى ... رَجُلٍ يَرْصُدُ باللَّيْلِ زُحَلْ

١٣- حارَتِ الأفْكارُ في قُدْرَةِ مَنْ ... قَدْ هَدَانا سُبْلَنَا عَزّ وجَلّْ

١٤- كُتِبَ المَوْتُ علَى الخَلْقِ فكَمْ ... فَلَّ مِنْ جَمْعٍ وأفْنَى مِنْ دوَلْ

١٥- أيْنَ نُمْرُوذُ وكَنْعانُ وَمَنْ ... مَلَكَ الأرْضَ وَوَلَّى وَعَزَلْ

١٦- أيْنَ عادٌ أيْنَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ ... رَفَعَ الأهْرَامَ؟ مَنْ يَسْمَعْ يَخَلْ

١٧- أيْنَ مَنْ شَادُوا وسَادُوا وَبَنَوْا ... هَلَكَ الكُلُّ فَلَمْ تُغْنِ القُلَلْ

١٨- أيْنَ أرْبابُ الحِجا أهْلُ النُّهَى ... أيْنَ أهْلُ العِلْمِ والقَوْمُ الأُوَلْ

١٩- سَيُعِيدُ اللهُ كُلاًّ مِنْهُمُ ... وَسَيَجْزِي فَاعِلاً مَا قَدْ فَعَلْ

٢٠- أيْ بُنَيَّ اسْمَعْ وَصَايا جَمَّعَتْ ... حِكَمًا خُصَّتْ بِهَا خَيْرُ المِلَلْ

٢١- اطْلُبِ العِلْمَ ولا تَكْسَلْ فَمَا ... أبْعَدَ الخَيْرِ علَى أهْلِ الكَسَلْ

٢٢- وَاحْتَفِلْ للفِقْهِ في الدِّينِ وَلا ... تَشْتَغِلْ عَنْهُ بِمَالٍ وَخَوَلْ

٢٣- وَاهْجُرِ النَّوْمَ وَحَصِّلْهُ فَمَنْ ... يَعْرِفِ المَطْلُوبَ يَحْقِرْ مَا بَذَلْ

٢٤- لا تَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أربابُهُ ... كُلُّ مَنْ سارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَلْ

٢٥- في ازْدِيادِ العِلْمِ إرْغامُ العِدا ... وَجَمَالُ العِلْمِ إصْلاحُ العَمَلْ

٢٦- جَمِّلِ المَنْطِقَ بالنَّحْوِ فَمَنْ ... يُحْرَمِ الإعْرَابَ بالنُّطْقِ اخْتَبَلْ

٢٧- وَانْظُمِ الشِّعْرَ وَلازِمْ مَذْهَبِي ... فاطِّراحُ الرِّفْدِ في الدّنيا أقَلْ

٢٨- فَهُوَ عُنْوَانٌ عَلى الفَضْلِ، وَمَا ... أحْسَنَ الشِّعْرَ إذا لَمْ يُبْتَذَلْ

٢٩- ماتَ أهْلُ الفَضْلِ، لَمْ يَبْقَ سِوَى ... مُقْرِفٌ أوْ مَن علَى الأصلِ اتَّكَلْ

٣٠- أنَا لا أخْتَارُ تَقْبيلَ يَدٍ ... قَطْعُهَا أَجْمَلُ مِنْ تلكَ القُبَلْ

٣١- إنْ جَزَتْني عَنْ مَديحي صِرْتُ في ... رِقِّهَا أوْ لاَ فَيَكْفِيني الخَجَلْ

٣٢- أعْذَبُ الألفاظ قَوْلي لَكَ خُذْ ... وأمَرُّ اللَّفْظ نُطْقِي بلَعَلْ

٣٣- مُلْكُ كِسْرَى عَنْهُ تُغْني كِسْرَةٌ ... وَعَنِ الْبَحْرِ اجْتِزَاءٌ بالْوَشَلْ

٣٤- اعْتَبِرْ (نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ) ... تَلْقَهُ حَقًّا وبالحَقِّ نَزَلْ

٣٥- لَيْسَ ما يَحْوي الفَتَى مِنْ عَزْمِهِ ... لا وَلا مَا فَاتَ يَوْمًا بالْكَسَلْ

٣٦- اطْرَحِ الدُّنْيا فَمِنْ عاداتِها ... تَخْفِضُ العالي وَتُعْلي مَنْ سَفَلْ

٣٧- عِيشَةُ الزاهِدِ في تَحْصيلِها ... عِيشَةُ الجَاهِدِ، بَلْ هَذَا أَذَلْ

٣٨- كَمْ جَهُولٍ وَهُوَ مُثْرٍ مُكْثِرٌ ... وَعَليمٍ مَاتَ مِنْها بالْعِلَلْ

٣٩- كَمْ شُجاعٍ لَمْ يَنَلْ مِنْها المُنَى ... وَجَبَانٍ نالَ غاياتِ الأمَلْ

٤٠- فاتْرُكِ الحيلَةَ فيها واتَّئِدْ ... إنَّمَا الحيلَةُ في تَرْكِ الحِيَلْ

٤١- أيُّ كَفٍّ لَمْ تُفِدْ مِمَّا تُفِدْ ... فَرَماهَا اللهُ مِنْهُ بالشَّلَلْ

٤٢- لا تَقُلْ أصْلِي وَفَصْلِي أبَدًا ... إنَّمَا أصْلُ الفَتَى مَا قَدْ حَصَلْ

٤٣- قَدْ يَسُودُ المَرْءُ مِنْ غَيْرِ أبٍ ... وَبِحُسْنِ السَّبْكِ قَدْ يُنْفَى الزَّغَلْ

٤٤- وكَذَا الوَرْدُ مِنَ الشَّوْكِ، وَمَا ... يَنْبُتُ النَّرْجِسُ إلاّ مِن بَصَلْ

٤٥- مَعَ أنّي أحْمَدُ اللهَ عَلى ... نَسَبي إذْ بِأبِي بَكْرٍ اتَّصَلْ

٤٦- قيمَةُ الإنْسانِ مَا يُحْسِنُهُ ... أكْثَرَ الإنْسانُ مِنْهُ أو أقَلْ

٤٧- أُكْتُمِ الأمْرَيْنِ فَقْرًا وَغِنَى ... وَاكْسِبِ الفَلْسَ وحَاسِبْ مَنْ بَطَلْ

٤٨- وادَّرِعْ جِدًّا وكَدًّا، واجْتَنِبْ ... صُحْبَةَ الحَمْقَى وأرْبَابَ الخَلَلْ

٤٩- بَيْنَ تَبْذيرٍ وَبُخْلٍ رُتْبَةٌ ... وكِلا هَذَيْنِ إنْ دَامَ قَتَلْ

٥٠- لا تَخُضْ في سَبِّ سَادَاتٍ مَضَوْا ... إنَّهُمْ لَيْسُوا بأهْلٍ للزَّلَلْ

٥١- وَتَغافَلْ عَنْ أُمُورٍ إنَّهُ ... لَمْ يَفُزْ بالحَمْدِ إلاّ مَنْ غَفَلْ

٥٢- لَيْسَ يَخْلُو المَرْءُ مِنْ ضِدٍّ وإنْ ... حَاوَلَ العُزْلَةَ في رأسِ جَبَلْ

٥٣- مِلْ عَنِ النَّمَّامِ واهْجُرْهُ فَمَا ... بَلَّغَ المَكْرُوهَ إلا مَنْ نَقَلْ

٥٤- دَارِ جَارَ السُّوءِ إنْ جارَ وإنْ ... لَمْ تَجِدْ صَبْرًا فَمَا أحلَى النُّقَلْ

٥٥- جانِبِ السُّلْطانَ واحْذَرْ بَطْشَهُ ... لا تُعانِدْ مَنْ إذَا قالَ فَعَلْ

٥٦- لا تَلِ الحُكْمَ وإنْ هُمْ سَألُوا ... رَغْبَةً فِيكَ وَخالِفْ مَنْ عَذَلْ

٥٧- إنَّ نِصْفَ النَّاسِ أعداءٌ لِمَنْ ... وُلِّيَ الأحْكامَ، هَذا إنْ عَدَلْ

٥٨- فَهُوَ كالمَحْبُوسِ عَنْ لَذَّاتِهِ ... وكِلا كَفَّيْهِ في الحَشْرِ تُغَلْ

٥٩- إن للنَّقْصِ والاسْتِثْقالِ في ... لَفْظَةِ القاضِي لَوَعْظًا وَمَثَلْ

٦٠- لا تُساوَى لَذَّةُ الحُكْمِ بِمَا ... ذَاقَهُ المَرْءُ إذا المَرْءُ انْعَزَلْ

٦١- فالوِلاياتُ وإنْ طابَتْ لِمَنْ ... ذاقَها فالسُّمُّ في ذَاكَ العَسَلْ

٦٢- نَصَبُ المَنْصِبِ أوْهَى جَسَدِي ... وَعَنائي عَنْ مُدَارَاةِ السَّفَلْ

٦٣- قَصِّرِ الآمالَ في الدُّنيا تَفُزْ ... فَدَلِيلُ العَقْلِ تَقْصِيرُ الأمَلْ

٦٤- إنَّ مَنْ يَطْلُبُهُ المَوْتُ علَى ... غِرَّة مِنْهُ جَدِيرٌ بالوَجَلْ

٦٥- غِبْ وَزُرْ غِبًّا تَزِدْ حُبًّا فَمَنْ ... أكْثَرَ التَّرْدَادَ أضْنَاهُ المَلَلْ

٦٦- خُذْ بِحَدِّ السَّيْفِ واتْرُكْ غِمْدَهُ ... واعْتَبِرْ فَضْلَ الفَتَى دُونَ الحُلَلْ

٦٧- لا يَضُرُّ الفَضْلَ إقْلالٌ كَمَا ... لا يَضُرُّ الشَّمْسَ إطْباقُ الطَّفَلْ

٦٨- حُبُّكَ الأوْطانَ عَجْزٌ ظاهِرٌ ... فاغْتَرِبْ تَلْقَ عَنِ الأهْلِ بَدَلْ

٦٩- فَبِمُكْثِ المَاءِ يَبْقَى آسِنًا ... وَسُرَى البَدْرِ بِهِ البَدْرُ اكْتَمَلْ

٧٠- أيُّهَا العَائِبُ قَوْلِي عَابِثًا ... إنَّ طِيبَ الوَرْدِ مُؤْذٍ بالجُعَلْ

٧١- عُدَّ عَنْ أسْهُمِ لَفْظِي واسْتَتِرْ ... لا يُصِيبَنَّكَ سَهْمٌ مِنْ ثُعَلْ

٧٢- لا يَغُرَّنَّكَ لِينٌ مِنْ فَتَى ... إنَّ للحَيَّاتِ لِينًا يُعْتَزَلْ

٧٣- أنا مِثْلُ المَاءِ سَهْلٌ سَائِغٌ ... وَمَتَى سُخِّنَ آذَى وَقَتَلْ

٧٤- أنا كالخَيْزُرَانِ صَعْبٌ كَسْرُهُ ... وهُوَ لَيِّنٌ كَيْفَما شِئْتَ انْفَتَلْ

٧٥- غَيْرَ أنِّي في زَمَانٍ مَنْ يَكُنْ ... فِيهِ ذَا مَالٍ هُوَ المَوْلَى الأجَلْ

٧٦- وَاجِبٌ عِنْدَ الوَرَى إكْرَامُهُ ... وَقَلِيلُ المَالِ فِيهِمْ يُسْتَقَلْ

٧٧- كُلُّ أهْلِ العَصْرِ غُمْرٌ، وأنَا ... مِنْهُمُ فاتْرُكْ تَفَاصِيلَ الجُمَلْ

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مقدمة الشارح

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (الذاريات: ٥٥).

الحمدُ لله الذي جعل النصيحة مِن شأن العارفين، ووصف بها بعضَ الأنبياء المرسلين، فقال تعالى حكايةً عن [هود عليه السلام]: ﴿ وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٦٨]. والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين، الذي هو أشرف الخليقة، القائل في السُّنَّة الصحيحة: «الدِّينُ النَّصيحة» وعلى آله وأصحابه صلاةً وسلامًا دائمَين متلازمَيْن ما أخلص ناصحٌ في النصيحة وما فهم فاهمٌ بالقريحة.

وبعد: فيقول العبد الفقير مسعود بن حسن بن أبي بكر القناوي[1]: هذا شرح علي القصيدة الوردية اللامية المنظومة من بحر الرَّمَل، ووزنه:

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن

المسمَّاة بـ : **« نصيحة الإخوان ومرشدة الخلان »**

وهي **خمسة وسبعون بيتًا** المشتملة علي المواعظ والحِكم، نَظْم الفاضل الأديب الشيخ الإمام الهمام شيخ الإفتاء والتدريس المحقق المدقق المتبحر في الفقه والأدب وسائر العلوم زين الدين أبي حفص عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس الحلبي الشافعي البكري الصدِّيقي[2]، منسوب إلي أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، ونسبُه معروف مشهور لا شك فيه.

وسميته : **« فَتْحُ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ فِي شَرْحِ نَصِيحَةِ الإِخْوَانِ »**

---

(١) هو مسعود بن حسن بن أبي بكر أحمد بن أبي بكر ابن حسن بن سباط الحسيني القناوي الشافعي.

(٢) تفقَّه على الشيخ شرف الدين البارزي رحمه الله تعالى، وجالَس أكابر العلماء، وكان رجلاً صالحًا كثير الخيرات حسن الخلق، جمع في شعره بين الحلاوة والطلاوة والجزالة، له مقام عظيم عند الناس ومهابة كثيرة لِما كان عليه من الزهد والورع والخشية والخوف من الله، برَع في سائر العلوم وصنَّف تصانيف حميدة، ونظم فيها منظومات فائقة مجيدة، وكفاه شرفًا هذه المنظومة العظيمة وما حوت من المسائل الجليلة كذلك منظومته المشهورة المسمَّاة: بالبهجة في الفقه. وفضائله ومناقبه رضي الله تعالى عنه أكثر من أن تُحصى، فهو الغاية والنهاية، وكانت وفاته في سابع عشر ذي الحجة الحرام ختام عام تسع وأربعين وسبعمائة [٧٤٩هـ] وهو في عشر التسعين رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين.

واعلمْ أن الشِّعر مُجمَع على جَوازه وخصوصًا إذا كان متعلقًا بتوحيد؛ كالجوهرة للإمام اللقّاني رحمه الله تعالى، أو بمدحه ﷺ؛ كالهمزية والميمية واللامية للإمام البوصيري رحمه الله تعالى، أو بفقه؛ كالبهجة للناظم رحمه الله تعالى، أو بنصيحةٍ كهذه اللامية له، نفعنا الله به.

ثم إن الشعر لا يحصل إلا لذي الفطرة السليمة، ولا يكون في الغالب إلا لمن مارس علمَي المعاني والبيان؛ لإدراك معرفة الفصيح والأفصح، ومما يُعين عليه أيضًا مطالعة الرسائل والخطب والأشعار والدواوين فتولّد له درايةً ومَلكة وعينًا تنبع في القلب بسبب هذه الأمور.

واعلمْ أنه تعتريه الأحكام الأربعة: فيكون حرامًا إن كان متعلقًا بهجوٍ وذمّ. ويكون مندوبًا إن كان متعلقًا بخير؛ كمدحه ﷺ. ويكون مكروهًا إن كان متعلقًا بأمرٍ مكروه. ويكون مباحًا إذا كان متعلقًا بأمر مباح. ولا يكون واجبًا .



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

شرح لامية ابن الوردي

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

بسم الله الرحمن الرحيم

لما كانت القصيدة المذكورة من الأمور ذوات البال افتتحها الناظم رحمه الله تعالى بالبسملة؛ لقوله ﷺ « كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَال لا يُبدأ فيه ببسم الله الرَّحمن الرَّحيم فهو أبتر أو أجزم أو أقطع »[1]. والكلام على هذا الحديث مذكور في المطوَّلات، وذكر - رحمه الله تعالى - البسملة دون الحمدلة لأن المقصود بالحمدلة الثناء على الله تعالى وقد حصل بالبسملة. فقد اختار الناظم رواية «كلُّ أمْرٍ ذي بالٍ لا يُبدأ فيه بذكر الله » الشاملة لكل من البسملة والحمدلة. انتهى .

• ولما كان النساء فتنة حذّر الناظم رحمه الله تعالى من ذِكرهن والتغزّل فيهن، فقال :

١- اعْـتَزِل ذِكْرَ الأغانِـي والْغَزَلْ ... وقُلِ الفَـصْلَ وجانِـبْ مَـنْ هَـزَلْ

(١)- أي اترك ذكر الأغاني من النساء: أى المُستغنيات بحُسنهن وجمالهن عن الزينة، واترك التغزّل فيهن، ولكن المراد هنا مطلق النساء ولو لم يكنَّ غانيات؛ لأن التعلُّق بهن يجر إلى المفاسد ويعلّق الخاطر بما لا طائل ولا فائدة فيه. أما إذا كان ذكر الأغاني لحاجةٍ كأن يستشير من يثق بدينه أو برأيه في خطبة امرأة أو تزوجها أو معاملتها فيجوز له ذلك ولا إثم فيه.

واعلمْ أن المرأة لشدَّة فتنتها جعلها ﷺ قسمًا مقابلاً للدنيا بقوله: « وَمَنْ كانت هجرتُه لدُنيا يُصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هَاجر إليه »[2]. ولذلك روَى أسامة بن زيد عن رسول الله ﷺ أنه قال: « ما تركتُ بعدي فتنةً أضرّ على الرجال من النساء »[3]. وقال بعض العارفين: ما أيسَ الشيطان من

---

(١) رواه الخطيب والحافظ عبد القادر الرهاوي.

(٢) رواه النسائي وابن ماجه وأبو داود.

(٣) انظر حديث رقم: ٥٥٩٧ في صحيح الجامع.

إنسان قط إلا أتاه من قِبل النساء. وقال سفيان: قال إبليس: سَهمي الذي إذا رميت به لم أُخطئ: النساء. وفي خبر الإمام أحمد رضى الله تعالى عنه: النظر إلى محاسن المرأة من سهام إبليس .

وهذا باعتبار الغالب، وإلا ففيهن نسوة لهن أحوال وزهد وصلاح كأكابر الرجال؛ مثل رابعة العدوية وريحانة المصرية وأُمُّ الخير وغيرهن من النساء المشهورات. فمثل هؤلاء النسوة عليهن الرضوان ونفعنا الله بهن لا يُعتزل ذكرهن بل يُذكرن تبركًا بهن.

ولنرجع إلي كلام الناظم فنقول :

الأغاني: جمع غانية كفاعلة، وتجمع أيضًا على غوان كما في قول الشاعر:

دَعاني الغواني عمهنّ وخلتني لي اسمٌ فلا أُدعى به وهو أوّل

والغانية: المرأة اللطيفة الحسنة الخَلْق والخُلُق. **والغزل**: كلام رقيق لفظًا ومعنى، متضمن لمعان رقيقة واستعارات دقيقة.

وقوله: **(وقُلِ الفَصْلَ وجانِبْ مَنْ هَزَلْ)** المراد به اتباع الحق في الأقوال والأفعال واجتناب الباطل فيهما، وهذا مقتبس من قوله تعالى: ﴿ **وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ** ﴾ [الطارق: ١٤]؛ أي باللعب، وقيل بالباطل.

ويُطلق الهزل على ما يقع من أراذل الناس من كلمات مضحكة أو رقص أو نحو ذلك.

وأما ما ورد من مزاحه ﷺ من قوله للمرأة العجوز التي أراد أن يطيب خاطرها بمزاحه معها « لا تدخل الجنةَ عجوزٌ »(١) ونحو ذلك فليس من هذا الباب وإنما هو من باب البيان المأمور به في قوله تعالى: ﴿ **وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** ﴾[النحل: ٤٤]. والمراد ألاَّ يدخل الجنة شيخ ولا عجوز بل تدخلها الناس لأبناء ثلاث وثلاثين سنة على صورة آدم عليه السلام.

وفي الجامع الصغير قال ﷺ: « إنّي لأَمْزَح ولا أقول إلا حقًّا »(٢).

---

(١) رواه رزين، وفي «غاية المرام»، وقال الألباني: (حسن).

(٢) رواه الطبراني عن أنس رضي الله عنه .

• قال الناظم رضي الله عنه ونفعنا به آمين :

٢- وَدَعِ الــذِّكْرَى لأيَّــامِ الــصِّبا فَلأَيَّــامِ الــصِّبا نَجْــمٌ أفَــلْ

٣- إنّ أهْنَــأ عِيــشَةٍ قَــضيْتَها ذَهَبَــتْ لَــذَّاتُها والإثمُ حَــلّ

(٢ - ٣)- البيت الأول مرتب على الثاني، والمعنى: أن أطيب وأجلى - كما في نسخة - وألذ عيشة قضيتها يا مخاطب في اقتراف الذنوب والسيئات ذهبت ومرت وانقضت لذاتها، أي المعيشة، أي لذات الذنوب التي فعلتها فيها، بدليل قوله: والإثم حل: أي ثبت عليه، وحينئذ لا ينبغي لك الذكرى لأيام الصبا التي وقعت فيها الذنوب والخطايا وقد مرت كأنها طيف خال أو نجم أفل لأنه ليس في ذكر تلك الأيام إلا التفاخر بالمعصية والسرور بما يزيد في الإثم، كما أن التحدث بالنعمة والسرور بها يزيد في الأجر؛ قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ الناس مُعَافى إلاَّ المُجَاهِرين»[1] يعني بالمعاصي، وقال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

واعلمْ أنه إذا كان السرور بكبيرةٍ عظمَ وزرُها وتزايد أمرها، وإذا كان بصغيرةٍ أُلحقت بالكبيرة .

ويقال: **خمسة أشياء إذا قارنت الصغائرَ ألحقتها بالكبائر. الأول**: السرور بالذنب. **الثاني**: إظهار الذنب ممن يفعله متجاهرًا أو يتحدث به ويفتخر به، فإن من نِعم الله سبحانه وتعالى إظهار الجميل وستر القبيح، وفيما ذكر من [مساوئ] التجاهر والتحدث والافتخار ترغيبُ مَن علم بذنبه في الوقوع في مثله، وفي الأثر «لا تذنب فإن أذنبت فلا ترغّب غيرك فيُكتب عليك ذنبه». **الثالث**: أن يستصغر الذنب، فإنه يكثر إثمه على قدر استصغاره له، فإن في تصغيرَ الذنب تصغير أمر الله سبحانه وتعالى، وفي تعظيمه تعظيمَ أمر الله تعالى؛ قال أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: « إنكم تعملون أشياء هي عندكم أرق من الشعر كنا نعُدُّها في زمن رسول الله ﷺ من الموبقات » أي المهلكات. **والرابع**: الإصرار، وهو العزم على العوْد لمثل الذنب، ولهذا قيل: لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار، وليس المراد به استغفار أمثالنا باللسان بل المراد به

---

(١) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير بلفظ « كل أمتي »، وصححه الألباني.

الواقع مع التوبة والندم والإقلاع والالتجاء إلى الله تعالى بالقلب. **الخامس**: أن يكون فاعل الذنب عالمًا يُقتدى به، كما ورد في الحديث: « مَنْ سَنَّ سُنَّة سَيئة فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بها إلى يَوْمِ القِيامَةِ لا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيء »[1] اهـ.

• قال الناظم رحمه الله تعالى:

٤- وَاتْرُكِ الغَادَةَ لا تَحْفَلْ بِهَا   تُمْسِ في عِزٍّ وتُرْفَعْ وتجلّ

(٤)- أي اترك الجارية، **الغادة**: أي الغانية؛ فالغادة والغانية على حد سواء. ولا تكرار بين هذا البيت والبيت الذي هو أول القصيدة لأن النهى هناك عن الذكر لها والتغزل بها، وهنا عن طلبها والتعلق بها، ثم إن كان ذلك على وجهٍ محرم فالنهي ظاهر، وإن كان على وجهٍ جائز كأن طلب التزوج بها فهو محمول على ما إذا لم تدع الحاجة إلى الزواج كأن يكون عاجزًا عن الوطء أو المهر أو الإنفاق ونحو ذلك، وحيث كان عاجزًا عما ذكر وترك ذلك فقد استراح وكان عزيزًا بين أقرانه جليلاً بين الناس، وهذا معنى قوله: (**تُمْسِ في عزٍّ وتُرْفَعْ وتجلْ**).

ومن لم يتركها واحتفل بها: أي طلبها من غير حاجة لها فقد أتعب نفسَه وحمَّلها ما لا طاقة لها به من الذل والاحتياج ونحو ذلك، أما إذا دعت الحاجة إلى الزواج بأن اشتاقت نفسُه إليه وكان واجدًا للأهبة فالأفضل له طلبها والاحتفال بها لقوله ﷺ: « يا مَعْشَرَ الشباب مَن استطاع منكم البَاءة فليتزوج فإنه أَغَضُّ للبَصر وأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، ومَن لَمْ يَستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجَاء »[2] بكسر الواو والمد: أي قاطع لتوقانه وشهوته. وفي الجامع الصغير قال ﷺ: « إن الرجلَ إذا نظر إلى امرأته ونظرتْ إليه نظرَ اللهُ إليهما نظر رحمة، فإذا أخذ بكفِّها تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما ».

وقد ذكر الفقهاء أن **النكاح تعتريه الأحكام الخمسة**: فالأصل فيه **الإباحة** كما في واجد الأهبة مع عدم احتياجه إليه، وقد **يجب** كأن خاف العنت لو لم يتزوج فيتعين الزواج لدفع الزنا: وقد **يسن** لتائقٍ واجدٍ للأهبة: أي المهر وكسوة الفصل

---

(١) روا ابن ماجه، واللفظ له، والترمذي وقال حسن صحيح.

(٢) رواه الجماعة من حديث ابن مسعود.

والسكنى ونفقة اليوم والليلة، وقد يكره لمن فقدها ولم يحتج إليه، وقد يحرم وهو كثير كنكاح المتعة، وهو النكاح إلى أجل، ونكاح الشغار بكسر الشين المعجمة، وبالغين المعجمة من شغر البلد عن السلطان إذا خلا عنه لخلوه عن المهر؛ وهو أن يقول: زوَّجتُك بنتي على أن تزوجني بنتك، ويضع كلٌّ منهما صداق الأخرى فيقبل ذلك، وخرج بقولنا في جانب الكراهة ولم يحتج إليه ما إذا فقدها واحتاج إليه، فالنكاح خلاف الأوْلى في حقه، والأوْلى أن يكسر شهوته بالصوم. انتهى .

• **فائدة:** التزوج عبادة وقُربة لما فيه من التحصين له ولزوجته من الوقوع في المحرَّمات، ولما فيه من كفِّ الفرْج والنظرِ عن الوقوع فيما لا يجوز، ولما فيه من النفقة على العيال.. إلى غير ذلك. وقال رجلٌ لإبراهيم بن أدهم: طوبَى لك تفرغت إلى العبادة بالعزوبية، فقال: لَروعةٌ منك بسبب العيال أفضل من جميع ما أنا فيه. ولما حضرت معاذًا الوفاةُ قال: زوِّجوني لا ألقى الله عزبًا .

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين :

٥- وَالْهَ عَنْ آلَـةِ لَهْـوٍ أطْرَبَـتْ وَعَـنِ الأمْـرَدِ مُـرْتَجِّ الكَفَـلْ

(٥)- قال في «المصباح»: اللهو معروف، تقول أهل نجد: لهوت عنه ألهو لهيًا، والأصل فعولاً من باب قعد، وأهل العالية: لَهِيت عنه ألْهَي من باب تعب، ومعناه السلوان والترك، ولهوت به لهوًا من باب قتل أولعت به أيضاً، وألهاني بالشيء بالألف: شغلني. انتهى. ثم قال في السين مع اللام سلوت عنه سلوًا من باب فقد: صبرت، والسلوة اسمٌ، وسليت أسلى سليًا لغةٌ. قال أبو يزيد: السلو طيب النفس الإلف من إلفه اهـ.

ومعنى البيت: تسلَّ وتصبَّر عن آلة لهو بأن تترك آلات الملاهي المطربة، والطرب: خفة تصيب الإنسان لشدة السرور.

وقرر الفقهاء أنه يحرم استعمال آلات الملاهي كطنبور وجنك وعود وسنطير ومزمار عراقي، وكذلك يحرم الضرب بالكوبة، وهي طبلٌ صغير ضيق الوسط واسع الطرفين.

واعلمْ أنه يكره غناء المرأة واستماع الرجل له وإن أمن الفتنة، قال ﷺ:

« الغناء يُنبت النِّفاق في القلب كما يُنبت الماءُ الزرعَ »[1] . وهـذا بخـلاف أذانهـا فإنه حرام بحضرة الأجانب، والفرق بينهما أن في الأذان تشبهًا بالرجال، بخـلاف الغناء فإنه من شعائر النساء، ولأنـه يُستحب النظـر للمـؤذن حـال أذانـه، فلـو استحببنا للمرأة لأُمر السامع بالنظر إليها وهذا مخالفٌ لمقصود الشارع .

ويجوز استعمال طبلٍ لنحو فرحٍ كعُرس وجهـاد ونحـو ذلـك؛ فعـن عائـشة رضي الله تعالى عنها أنها زَفَّت امرأةً مِن الأنصار إلى رجلٍ مِن الأنصار، فقال لها رسولُ الله ﷺ: « أَمَا كان معكم مِنْ لَهْو؟! »[2]. انتهى .

وقول الناظم **(وعَنِ الأَمْرَدِ)** أي الغلام الذي لم يبلغ ، وأما الذي بلغ فيقال أثط بالمثلثة لا أمرد .

وقوله **(مُرْتَج)** أي عظيم، **(الكَفَل)** بفتحتين: أي العجيزة هكذا يؤخـذ مـن المصباح .

واعلم أن **اللواط حرام**، أجمع المسلمون وغيرهم من أهل الملل على أنه من الكبائر، واختُلفَ في حكمه؛ فعند إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه حُكـم الزنا فيُرجم المحصِن ويُجلد غيرُه مائـة جلـدة ويُغـرَّب عـن وطنـه فـوق مـسافة القَصْر، وأما المفعول به فإن كان صغيرًا أو مجنونًا أو مكرَهًا فلا حـدَّ عليـه، وإن كان مكلفًا مختارًا جُلد وضُرب محصنًا كان أو غيره.

وعند السَّادة الحنفية رضي الله تعالى عنهم أنه لا يجب به الجلد إلا إذا تكرر فيُقتل على المفتَى به .

وعند الإمام أحمد رضى الله تعالى عنه يُتحتم قتلُـه وهـو قـول بعـض فقهائنـا رضى الله تعالى عنهم محصنًا كان أو غير محصن لحديث: « مَنْ أولج كمرتَه يعمـل عملَ قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به »[3]. وعلى هذا فيُقتل بالسيف كالمرتد.

وقال ابن عباس رضي الله عنهمـا: يُنظـر إلى أعلـى بنـاء في القريـة فيُرمـى اللوطي منكَّسًا ثم يُتبَع بالحجارة .

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) غاية المرام. وقال الألباني: (صحيح).

(٣) له شواهده من طرق أخرى.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين :

٦- إنْ تَبَدَّى تَنْكَسِفُ الشَّمْسُ في الضُّحَى وإذا ما مَـاسَ يُـزْرِي بالأَسَـلْ

٧- زَادَ إنْ قِسْنَاهُ بالبَـدْرِ سَـنًا أو عَدَلْنَاهُ بغُـصْنٍ فاعْتَـدَلْ

(٦ - ٧)- الغرض من هذين البيتين وصف الأمرد المذكور في البيت الذي قبلها، وإنما وصفه بذلك لحُسنه وجماله الفائق حتى أنه إن تبدى أي: ظهر، (تنكسف شمس الضحى): أي تسوَدُّ ويذهب ضوؤها.

وخُصَّ الضُّحى بالذكر لأن شمسه أضوأ من غيره، وحتى إنه إذا ماس[1]؛ أي حلق رأسه بالموسي يزري: أي يتهاون بالأسل، يقال أزرى بالشيء إزراءً: تهاون به، **والأسل** بالمهملة محرَّكًا: الرماح لدقة أطرافها، ومنه أسلة اللسان لطرْفه المستدق، وأصل الأسل نبات يتخذ منه الحُصُر شُبهت به الرماح، قاله في شرح لامية الطغرائي عند قوله :

فالحبّ حيث العِدا والأُسْدُ رابضةٌ حَوْل الكناسِ لها غابٌ مِنَ الأسَلِ

وفي الأشموني على الألفية عند قوله (وشذ إياي وإياه أشذ) ما نصه: وشذ إياي في قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لتذك لكم: أي لتذبح الأسل والرماح والسهام، وإياي أن يحذف أحدكم الأرنب، والأصل باعدوا عن حذف الأرنب. انتهى. قال في حواشي الأشموني: الأسل: ما رقَّ من الحديد كالسيف والسكين. انتهى .

ومقتضى عطف الرماح على الأسل أنه غيرُها، والمعنى هنا أنه إذا حلق رأسه بالموسى ازداد جمالاً على جمال وزاد قتلُه الناظرين له على قتل الرماح أو ما رقَّ من الحديد للمضروبين بها، فأزرى بالرماح: أي بما رقَّ من الحديد وصارت دونه تأثيرًا، هكذا ظهر لنا والله أعلم .

• **فائدة:** «ما» بعد إذا زائدة. وقوله «زَادَ إنْ قِسْنَاهُ» أي شبهناه بالشمس، (سنا) بالقصر: أي ضوء: أي زاد ضياه على الشمس إن شبهناه بها، وقوله «أو

---

(١) قوله ماس: أي حلق الخ. الذي في القاموس أن الميس معناه التبختر، وبه تعلَم ما في كلام الشارح.

عَدَلْناهُ بغُصْنٍ فاعْتَدَلْ» أي سوَّيناه وأقمناه مقام الغصن فاعتدل أي استوى وقام مقامه: أي أنه من كثرة اعتدال قَدِّه يقوم مقام الغصن في ذلك، وهذا التفسير الذي فسرنا به البيتين المذكورين غالبه مأخوذ من المصباح [المنير] .

والمقصود من كلام الناظم رحمه الله تعالى التغافل والتلاهي عن الأمرد الجميل جدًّا الجامع للصفات الخمسة التي ذكرها في قوله: وعن الأمرد مرتج الكفل وإن تبدى... إلى آخره .

(وإذا ما ماس) وزاد عن قسناه إلى آخره أو عدلناه إلى آخره لأنه الذي يُخاف منه الفتنة لجمال وجهه واعتدال قده، وأما غيرُه ممن ليس فيه الصفات المذكورة فالواجب التغافل عنه أيضًا لأنه تقدم أنه يحرم النظر إلى الأمرد بشهوة إن كان غير حَسنٍ باتفاق النووي والرافعي، وإنما لم يذكره الناظم لأن الغالب عدم الافتتان به، هكذا ظهر لنا والله أعلم .

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين :

٨- وَافْتَكِرْ فِي مُنْتَهَى حُسْنِ الَّذِي ... أَنْتَ تَهْواهُ تَجِدْ أَمْرًا جَلَلْ

(٨)- هذا معطوف على قوله: (وَالْهَ عَنْ آلَةِ لَهْو أطْرَبَتْ - وَعَنِ الأمْرَدِ) أي أرح نفسك عن الاشتغال بآلة اللهو بالأمرد، فإذا غلبت عليك نفسك ودعتك إلى محبة شيء من زينة الحياة الدنيا فافتكر وتذكر **(في منتهى)**: أي نهاية، وآخر حسن ذلك الشيء الذي أنت تهواه وتحبه وتميل إليه **(تجد أمرًا جلل)** بفتحتين أي هينًا غير عظيم؛ لأن الدنيا فانية عاقبتها إلى الزوال فأميرها حقير وغنيها فقير وعزيزها ذليل، فإذا تفكرت في عاقبة الشخص الذي أنت تحبه تجد عاقبته الموت ثم يصير جيفة قذرة لا يطيق أحد الجلوس عندها ثم يصير ترابًا، وكذا كل من عليها مِنْ خَلْقٍ وإبل وبقر وخيل وأشجار ودور مزخرفة، فسبحان الباقي بعد فناء خلقه، قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ۝ ﴾[آل عمران: ١٤]، وقال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ

وَٱلْأَوْلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾؛ أي هي في إعجابها لكم وذهابها بلبكم، ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾؛ أي مطر، ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ﴾؛ الزرَّاع، ﴿نَبَاتُهُۥ﴾؛ الناشئ عنه، ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾؛ أي ييبس، ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾؛ أي فتاتًا يذهب بالرياح، ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾؛ أي لمن آثر الدنيا على الآخرة، ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾؛ أي لمن يؤثر الآخرة على الدنيا، ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠]. وخرج بما ذكره الناظم ما إذا كان تفكره في نهاية ما عند الله عز وجل من المُلك الذي لا يبلى والنعيم الذي لا يفنى وما أعدَّه الله لعباده المتقين في الجنة مما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعتْ ولا خطرَ على قلب بشر؛ فإن الأمر فيه عظيم وليس بهين، بل هو من باب الاعتبار المنصوص عليه بقوله تعالى: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾ [الحشر: ٢].

• **تنبيه:** قال الخليل والجوهري رحمهما الله تعالى: الأمر الجُلل بضم الجيم[(١)]: العظيم، وبفتحها: الحقير وهذه اللفظة وقعت في بعض غزواته ﷺ مِن امرأة قُتل أبوها وابنها وزوجها في تلك الغزوة ورأتهم صرعى على الأرض ورأت النبيَّ ﷺ راكبًا على فرسه فقالت له: يا رسول الله كل أمر دونك جَلَل: أي هين حقير رضى الله تعالى عنها ونفعنا بها آمين .

روى البزار عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عن أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ مُنجيات، وثلاثٌ مُهلكات، فالمنجيات خَشية الله تعالى في السِّرِّ والعَلانيـة، والحُكم بالعدل في الرِّضا والغَضب، والاقْتصاد في الغِنـى والفقـر، والمُهلكـات: شُحٌّ مُطاع، وهوًى مُتَّبع، وإعْجاب المرء بنفسه »[(٢)].

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين :

٩- وَاهْجُرِ الخَمْرَةَ إنْ كُنْتَ فَتى ... كَيْفَ يَسْعَى في جُنُونٍ مَنْ عَقَلْ

(٩)- أي اترك الخمرة وتجنبها إن كنت فتى: أي شابًا قويًا حاذقًا كاملاً

(١) قوله: (بضم الجيم الخ) الذي في كتب اللغة أن الجَلل بالفتح يطلق على العظيم والحقير فهو من الأضداد ، وأما بالضم فهو جمع جُلَى كحبلى العظيم اهـ .

(٢) (حسن). انظر حديث رقم: ٣٠٣٩ في صحيح الجامع.

مستجمعًا لخصال الكمال، وجمعُه فتية وفتيان كما قُرِىء بهما في السبع في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لِفَتَنهُ ﴾[الكهف: ٦٢] الآية. وسمَّى اللهُ تعالى يوشعَ بن نون عليه الصلاة والسلام فتى في قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَنهُ ﴾[الكهف: ٦٠] لأنه كان سيدًا عظيمًا ملازمًا لمن يأخذ العلم عنه. ثم أظهر الناظمُ رحمه الله تعالى التعجب ممن أعطاه الله عز وجل جزاءً من العقل الذي هو أحب المخلوقات إليه تعالى ومع ذلك يصدر منه هذا الفعل الذميم الذي لا يصدر إلا من المجانين فقال **(كيف يسعى)** أي يذهب ويتسبب **(في جنون)** أي زوال عقل **(من عقل)** بفتحتين أي من تدبر ونظر في العواقب. قال في المصباح: عقلت الشيء عقلاً من باب ضرب: تدبرته. اهـ .

واعلم أن حقيقة الخمرة هي المُتخذة من عصير العنب خاصة، واتفقت العلماء رضي الله تعالى عنهم على أن هذا خمر نجس يُحدّ شاربُه ويُفسَّق ويُكفَّر مُستحلُّه ولو لم يُسكِر. وأما غيره كالمتخذ من التمر والحنطة والشعير والذرة والزبيب فلا يكون له حكم الخمرة، إلا إذا أسكَر فحينئذ يكون نجسًا ويُحد شاربه ويفسّق ويكفّر مستحله. انتهى .

وكانت مباحة في صدر الإسلام يحل تناولها لكل أحدٍ كسائر المباحات، ولما حرمها الله تعالى سلب منها جميع المنافع. قال البغوي في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾[البقرة: ٢١٩] الآية ما نصه: وجملة القول على تحريم الخمر أن الله أنزل في الخمر أربع آيات نزلت بمكة ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾[النحل: ٦٧] فكان المسلمون يشربون وهي حلال لهم يومئذ، ثم إن عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وجماعة من الأنصار رضي الله عنهم أتوا رسولَ الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله أفتنا في الخمر والميسر فإنهما مَذهَبة للعقل مسلَبة للمال، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ٢١٩]. إلى أن صنع عبد الرحمن بن عوف طعامًا فدعا أناسًا من أصحاب النبي ﷺ وأتاهم بخمر فشربوا وسكروا، وحضرت صلاة المغرب وتقدم بعضهم ليصلي بهم فقرأ «قل

يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون» بحذف لا الناهية فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾[النساء: ٤٣]. فَحُرِّمَ السُّكرُ في أوقات الصلاة فلما نزلت هذه الآية تركها قوم وقالوا: لا خير في شئ يحول بيننا وبين الصلاة، وتركها قومٌ في أوقات الصلاة وشربوها في غير أوقاتها حتى كان يشرب الرجل بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال السكْر، ويشرب بعد صلاة الصبح فيصحو إذا جاء وقت الظهر .

واتخذ عتبان بن مالك طعامًا ودعا رجالاً من المسلمين فيهم سعد بن أبي وقاص، وكان قد شوى لهم رأسَ بعير فأكلوا وشربوا الخمر حتى أخذت منهم، ثم إنهم افتخروا عند عتبان وانتسبوا وتناشدوا الأشعار فأنشد سعد قصيدة فيها هجوٌ للأنصار وفخر لقومه فأخذ رجل من الأنصار لحى البعير فضرب به رأس سعد فشجَّه شجَّة موضَّحة، فانطلق سعد إلى رسول الله ﷺ وشكا إليه الأنصاري. فقال عمر: اللهم بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فأنزل الله تعالى تحريم الخمر في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ - إلى قوله تعالى - فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝ ﴾ [المائدة: ٩٠- ٩١]، وذلك بعد غزوة الأحزاب بأيام، فقال عمر: انتهينا يا رب. انتهى.

وعن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «كلُّ مُسْكر حرام، وكل مُسكرٍ خمرٌ، فمَن شرب الخمر في الدنيا ومات وهو مُدمنها ولم يتب منها لم يشربها في الآخرة»[1].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أسْكَر كثيره فقليله حرام»[2]. وعن الزهري رضي الله عنه أن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قام خطيبًا فقال: «أيها الناس، اتقوا الخمر فإنها أُمُّ الخبائث، وإن رجلاً كان ممن قبلكم من العباد، وكانِ يختلف إلى مسجده، فلقيتْه امرأةُ سوءٍ فأمرت جاريتها فأدخلته المنزل وأغلقت الباب وعندها خمرٌ وصبي، فقالت لا تفارقني حتى تشرب كأسًا من هذا أو تواقعني أو تقتل هذا الصبي وإلا صِحْتُ وقلتُ هذا دخل عليّ في

(١) رواه أبو داود وابن ماجه والنسائي والترمذي وقال حسن صحيح.

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه والنسائي والترمذي وقال حسن غريب.

بيتي فمَن الذي يُصدقك، فقال الرجل: أما الفاحشة فلا آتيها، وأما النفس فلا أقتلها ، فشرب كأسًا من الخمرة، فوالله ما برح حتى واقع المرأة وقتل الصبي. فقال عثمان رضي الله عنه: فاجتنبوها فإنها أُمُّ الخبائث، وإنه واللهِ لا يجتمع الإيمان والخمر في قلب رجل إلا يوشك أن يُذهب أحدهما الآخر»: يعني أن شارب الخمر يجري على لسانه كلمة الكفر فيُخاف عليه أن يقولها عند الموت فيخرج من الدنيا على الكفر فيبقى في حسرة وندامة.

واعلمْ أن في شربها عشرُ خصال مذمومة:

أولاها: إذا شربها يصير بمنزلة المجنون، ويصير مَضْحكة للصبيان ومذمومًا عند العقلاء، كما ذُكر عن ابن أبي الدنيا أنه قال: رأيتُ سكرانًا في بعض سكك بغداد يبول ويمسح بثوبه ويقول: اللهمّ اجعلني من التوَّابين واجعلني من المتطهرين. وذكر أن سكرانًا تقيأ في الطريق فجاء بكلب يلحس فاه وهو يقول: يا سيدي حاشاك لا تفسد المنديل بارك الله فيك، ثم إن الكلب رفع رجله وبال في وجهه وهو يقول: وماء حار.

الثانية: أنها مُذهبة للعقل مُتلفة للمال كما قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: اللهمّ أرنا رأيك في الخمر فإنها مُتلفة للمال مُذهبة للعقل.

الثالثة: أن شربها سببٌ للعداوة بين الإخوان والأصدقاء والناس كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾ [المائدة:٩١] وهو القِمار.

الرابعة: أن شربها يمنع من ذكر الله تعالى ومن الصلاة كما قال تعالى: ﴿ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [المائدة:٩١].

الخامسة: أن شربها يحمل على الزنا، وعلى طلاق امرأته وهو لا يدري.

السادسة: أنها مِفتاح كلّ شرّ؛ لأنه إذا شرب الخمر سَهُلَ عليه جميع المعاصي.

السابعة: أن شربها يؤذي الحفظة الكرام بالرائحة الكريهة.

الثامنة: أن شاربها أوجب على نفسه ثمانين جلدة، فإن لم يُضرب في الدنيا ضرب في الآخرة بسياطٍ من نار على رؤوس الأشهاد والناس ينظرون إليه والآباء والأصدقاء.

التاسعة: أنه أَغْلق باب السماء على نفسه فلا تُرفع حسناتُه ولا دعاؤه أربعين يومًا.

العاشرة: أنه مخاطر بنفسه؛ لأنه يخاف عليه أن يُنزع الإيمان منه عند موته.

وأما العقوبات التي له في الآخرة فإنها لا تُحصى كشرب الحميم والزقُّوم وفوت الثواب.

وروي عن بعض الصحابة أنه قال: مَن زوَّج ابنته لشارب الخمر فكأنما ساقها إلى الزنا. معناه أن شارب الخمر يجري على لسانه الطلاق، فربما حُرِّمت عليه امرأته وهو لا يشعر. وروي عن ابن مسعود أنه قال: إذا مات شارب الخمر فادفنوه، ثم أجلسوني، ثم انبشوه، فإن لم تجدوه مصروفًا عن القِبلة فاقتلوني. ورُوي أنه ﷺ قال: «حقٌّ على الله أن لا يشرب الخمر عبدٌ من عبيده في الدنيا إلا شرب من طينة الخبال، قيل يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: صديد أهل النار»[1]. وروى ابنُ عباس أنه قال: لما أُنزلت آية تحريم الخمر قالوا: كيف إخواننا الذين ماتوا وهم يشربونها؟ فنزل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا﴾ [المائدة: ٩٣] يعني لا إثم على الذين شربوا الخمر قبل تحريمها والله أعلم. ومَن أراد المزيد فعليه بالكتاب المذكور[2].

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

١٠- واتَّقِ اللهِ فَتَقْوَى اللهِ مَا جَاوَرَتْ قَلْبَ امرِئٍ إلا وَصَلْ

(١٠)- أي: اتبع الأمرَ واجتنب النهي؛ لأن اتباع المأمور واجتناب المنهي ما جاور قلب شخص، سواء كان ذكرًا أو أنثى، إلا وصل لربه سبحانه وتعالى. فالمراد بالتقوى اتباع الأوامر واجتناب النواهي. فمن المأمور به أنواع الطهارة كالوضوء والغسل والتيمم وإزالة النجاسة. ومنه الصلاة بأنواعها فرضًا ونفلاً، عينًا وكفاية؛ ومنه الزكاة بأنواعها، والصوم بأنواعه، والحج والعمرة بأنواعهما. ومنه أيضًا المعاملات كالبيع والسلَم والصلح والحوالة والإجارة ونحو ذلك.

---

(١) رواه أبو داود عن ابن عباس.

(٢) يقصد كتاب «تنبيه الغافلين».

ومنه الأنكحة والأصدقة والطلاق والرضاع والنفقات ونحو ذلك. ومنه أيضًا فروض الكفايات؛ كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحياء الكعبة بالحجّ كل عام وغير ذلك. ومنه أيضًا ما كمّل اللهُ به نبيه محمدًا ﷺ من مكارم الأخلاق كالزهد والورع والتوكل والقناعة وحسن الخُلق وكظم الغيظ والعفو عند القدرة وقضاء حوائج المسلمين وغير ذلك.

ومن المنهيّ عنه: الشركُ بالله تعالى، وقتل النفس بغير حق، والزنا والربا وشرب الخمر والسرقة وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات المصونات المؤمنات الغافلات، والغيبة، والنميمة، وأكل أموال الناس ظلمًا وعدوانًا كالغصْب ونحو ذلك.

قال: وكل هذه المأمورات والمنهيات داخلة تحت قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠] ومثلها قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: ٧] وإذا اتبع الإنسان الأمر واجتنب النهي، فقد جاورت التقوى قلبَه، وصار في كلّ وقت يشاهد ربَّه، فيكون حينئذ سامعًا بالله، ناطقًا بالله، باطشًا بالله، ماشيًا بالله متحركًا بالله، ساكنًا بالله، وهو معنى قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه عزّ وجلّ: « وما تقرّب إليّ عبد بشيء أفضل مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أُحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»[1] انتهى.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

١١- لَيْسَ مَنْ يقْطَعُ طُرْقًا بَطَلاً   إنمـا مَـنْ يَتَّقِـي اللهَ البَطَـلْ

(١١)- أي: ليس الشخص الذي يقطع الطرق. أي: يمنع الناس من المرور فيها بطلاً، أي: شجاعًا ماهرًا، سُمِّي بذلك لبطلان الحياة عند ملاقاته؛ بل البطل والشجاع هو الشخص المتقي الله سبحانه وتعالى؛ لأنه من شجاعته قَهَرَ نفسَه وأبطل كيدَها التي هي أقوى من سبعين شيطانًا، حيثُ جعلها مُتّبعة للمأمورات

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومُتجنبة للمنهيات، وقال ﷺ: «ليس الشديد بالصُّرَعة، وإنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب»[1]. وفي الجامع الصغير قال ﷺ: «ألاَ أدلُكم على أشدِّكم؟ أَمْلَكِكُم لِنفسه عند الغضب»[2].

واعلم بأن التقوى وإن قلّ لفظها كلمة كثيرة المعنى شاملة لخير الدّارين، إذ هي تجنُّبُ كل منهيّ عنه، وفعلُ كل مأمور به كما سبق. وسُئل علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه عن التقوى فقال: هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل. وقال عمر بن عبد العزيز: التقوى ترك ما حرّم الله، وأداء ما افترض الله، فما رزق الله بعد ذلك فهو خيرٌ إلى خير. وقيل: تقوى الله أن لا يراك حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك، ولهذا قال بعضهم لشخص: إذا أردت أن تعصي اللهَ فاعصه حيث لا يراك، واخرج من داره، وكُلْ رزقًا غير رزقه. وقال أكثر المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢- ٣]: إنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي أسرَ المشركون ابنًا له يُسمَّى سَالِمًا، فأتى رسولَ الله ﷺ وشكا الفاقة إليه وقال: إن العدوّ أسَر ابني وجَزَعت الأمُّ فما تأمرنا؟ فقال عليه الصلاة والسلام: « اتقِ الله واصْبر، وآمرك وإياها أن تُكثرا من قول «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيمَ» فعاد لِبيته وقال لامرأته إنّ رسول الله ﷺ أمرني وإياك أن نكثر من قول «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» ، قالت: فنِعم ما أمرنا به، فجعلا يقولانها، فغفل العدوّ عن ابنه، فساق غنمَهم وجاء بها إلى أبيه وهي أربعة آلاف شاة، فنزلت الآية». وقال مقاتل: أصاب غنمًا ومتاعًا وكتب لأبيه: أما بعد، فإني أُوصيك بتقوى الله عزّ وجلّ؛ فمن اتقاه وقاه، ومن أقرضه جازاه، ومن شكره زاده، فاجعل التقوى نُصْب عينك وجلاء قلبك.

ولما وُلّي عليٌّ رضي الله تعالى عنه الخلافة بعث رجلاً على سَرية فقال: أوصيك بتقوى الله الذي لا بدّ لك من لقائه ولا منتهى لك من دونه، وهل تُملك الدنيا والآخرة إلا بالتقوى؟.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الطبراني عن أنس رضي الله عنه.

وفي «منهاج العارفين» أن بعض الصالحين قال لبعض أشياخه: أوصني بوصية، قال: أوصيك بوصية ربِّ العالمين الأولين والآخرين، وهي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ ﴾ [النساء:١٣١]. ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتَّق الله؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣] .

وإذا تأمَّلت ما تقدم ظهرت لك ثمرة التقوى وعلمتَ أنها كافلة للسعادة في الدارين، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من المتقين المنسوبين إليه آمين.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

١٢- صَدِّقِ الشَّرْعَ ولا تَـرْكَنْ إلى رَجُـلٍ يَرْصُـدُ باللَّيْـلِ زُحَـلْ

(١٢)- الكلام على حذف مضاف: أي صدّقْ صاحب الشرع وهو النبيّ ﷺ في جميع ما جاء به من عند الله، وصار معلومًا بالضرورة، والأمر في عبارة الناظم للوجوب؛ لأنه يجب التصديق بالقلب والإقرار باللسان لكل ما جاء به ﷺ من الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحجّ والجهاد والمعاملات بأنواعها، والجنة والنار واللوح والقلم والحوض والصراط والميزان وعذاب القبر ونعيمه وسؤال مُنكَر ونكير والشفاعة العظمى وإخراج قومٍ من النار بشفاعة الشافعين والبعث بعد الموت، وأن الجنة والنار خلقهما الله تعالى للبقاء، وأن أهل الجنة فيها منعَّمون أبدًا، وأن أهل النار غير أهل الكبائر من المؤمنين فيها معذَّبون أبدًا، ويحتمل أن المراد بالشرع الدين المبعوث به المصطفي ﷺ، وعليه فليس في عبارته حذف، أي: صدّق الشرعَ فيما جاء به من أمرٍ ونهي ووعد ووعيد، وفي كونه ناسخا لجميع الشرائع القديمة وغير ذلك.

• **فائدة:** الدِّين والمِلَّة والشرع والشريعة ألفاظ مترادفة مختلفة اعتبارًا؛ وذلك لأن الأحكام من حيث اشتهارها وظهورها وتشريعها تُسمَّى شرعًا وشريعة، ومن حيث إملاء الشارع إياها لنا تسمى مِلَّة، ومن حيث انقياد الخلق لها تسمى دِينًا.

وقوله **(ولا تركن إلى رجل يرصد بالليل زحل)** أي: ولا تعتمدْ على رجل **يرصد**: أي يترقب وينظر في الليل **زحل**: أي لا تصدق قول المنجمين لأن

أقوالهم كاذبة؛ قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل: ٦٥]، فمن صدّقهم فقد سلك طريقًا مُهلِكًا. وتخصيص الناظم رحمه الله تعالى النهي عن الإرصاد بزحل ليس بقيد، بل الكواكب السبعة السيارة كذلك، وهي القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشترى وزحل.

فقد عُلم من كلام الناظم رحمه الله تعالى أنه لا تأثير لهذه الكواكب المذكورة ولا لغيرها من المخلوقات.

والأحاديث في النهي عن تصديقهم كثيرة؛ منها ما ذكره في الجامع الصغير عن الإمام أحمد عن بعض أمهات المؤمنين أنه ﷺ قال: «من أتى عرّافًا فسأله عن شيء لم تُقبل صلاته أربعين ليلة »[١]. قال العلامة المناوي: العرّاف بفتح العين المهملة وتشديد الراء المهملة أيضًا من يُخبر بالأمور الماضية أو بما خفي، وقوله: «فسأله عن شيء» أي: مِن نحو المغيبات؛ وإنما خَصّ الأربعين على عادة العرب في ذكر الأربعين والسبعين والتسعين للتكثير، وخَصّ الليلةَ لأن عادتهم ابتداء الحساب بالليالي، وخصّ الصلاة بعدم القبول لكونها عماد الدين فصومه كذلك، ومعنى عدم القبول: عدم الثواب، وإن كانت مجزئة في سقوط الفرض عنه، ولا يُحتاج معها إلى إعادة، ونظير هذا الصلاة في الأرض المغصوبة مسقطة للقضاء، ولكن لا ثواب فيها. انتهى.

ومنها ما ذكره في «الجامع» أيضًا عن الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «من أتى عرّافًا أو كاهنًا فصدَّقه بما يقول فقد كفَر بما نزل على محمد»[٢].

قال العلاَّمة المناوي بعد قوله أو كاهنًا: وهو من يُخبر عمَّا يحدث، وقوله فصدَّقه: أي أتاه وسأله معتقدًا صدقه، فلو سأله معتقدًا كذبه لم يَلحَقه الوعيد. انتهى.

ومنها ما ذكره في «الجامع» أيضًا عن واثلة بن الأسقع أنه ﷺ قال: «مَن أتى كاهنًا يسأله عن شيء حُجبت عنه التوبة أربعين ليلة، فإنْ صدَّقه بما قال

---

(١) رواه مسلم، وذكره السيوطي في الجامع الصغير عن بعض أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.
(٢) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

كفر»[1]. قال العلامة المناوي بعد قوله كفر: أي ستر النعمة، فإن اعتقد صدقه في دعواه الاطلاع على الغيب كفَر حقيقةً. انتهى.

وقال العلقمي: قال النووي: قال القاضي عياض: كانت الكهانة في العرب ثلاثة أضرب: أحدها أن يكون للإنسان وليّ من الجن يُخبره بما يسترقه من السماء، وهذا القسم بطل من حين بعث نبينا ﷺ؛ وثانيها أن يُخبره بما يطرأ ويكون في أقطار الأرض وما خفي عنه مما قَرُبَ أو بَعُدَ، وهذا لا يبعد وجوده. ونفت المعتزلة وبعض المتكلمين هذين الضربين وأحالوهما، ولا استحالة في ذلك ولا بُعد في وجود الثاني منها؛ وثالثها المنجّمون، وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوّة ما، لكن الكذب فيه أغلب، ومن هذا الفنّ العِرافة وصاحبها عرّاف، وهو الذي يستدلّ على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفتها به، ومنه الضربُ بالحصى الذي تفعله النساء، ومنه أيضًا الخلط بالرمل والنجوم، وهذه الأضرب كلها تسمى كهانة، وقد كذّبهم الشرع ونهى عن تصديقهم وإتيانهم. وقال الخطّابي وغيره: «العرّاف هو الذي يتعاطى معرفة مكان المسروق ومكان الضالة ونحوهما» انتهى.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

١٣- حارَتِ الأفْكارُ في قُـدْرَةِ مَـنْ   قَـدْ هَـدَانا سُـبْلَنَا عـزّ وجَـلّ

(١٣)- أي تحيّرت الأفكار في قُدرة الله تعالى الذي هدانا، وبيّن لنا الطرق الموصلة إلى النعيم الدائم، وذلك كالإيمان والصلاة والزكاة والصوم والحجّ وغير ذلك من الأعمال الصالحة التي لا تَنحصِر، فهذه الطرق بيّنها لنا المولى سبحانه وتعالى على لسان نبيّه ﷺ وهي مُوَصّلة إلى الجنة. قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الزخرف:٧٢].

واعلم أن دخول الجنة بمحض فضل الله تعالى؛ قال ﷺ: «لن يدخل أحد منكم الجنة بعَمَلِهِ، قالوا: ولا أنت يا رسولَ الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمّدَنِي اللهُ برحمته»[2]. وأما القصور والحور والولدان وغير ذلك من النعيم فعلى قدر

---

(١) رواه السيوطي في الجامع الصغير.

(٢) رواه السيوطي في الجامع الصغير بلفظ مختلف.

الأعمال قلّةً وكثرةً، وما ذكره الناظم رحمه الله تعالى من أن الأفكار تحيّرت في قدرة الله تعالى مأخوذٌ من قوله ﷺ: « تفكَّروا في آلاء الله ولا تتفكروا في الله»[1]. قال المناوي: تفكروا في آلاء الله: أي نعمه التي أنعم بها عليكم، ولا تتفكروا في الله، فإن كل ما يخطر بالبال فهو بخلافه. ومن قوله ﷺ: « تفكَّروا في خَلْق الله ولا تتفكروا في الله»[2]. قال المناوي: لأنه لا تحيط به الأفكار، بل تتحيّر فيه العقول والأنظار. ومن قوله ﷺ: «تفكروا في كل شيء ولا تتفكروا في الله؛ فإن بين السماء السابعة إلى كرسيه سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك»[3]. ومن قوله ﷺ: « تفكَّروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله»[4]. قال المناوي: «تفكروا في خلق الله: أي مخلوقاته التي يَعرف العبادُ أصلَها جملةً لا تفصيلاً كالسماء بكواكبها وحركتها، والأرض وما في جبالِها وأنهارِها وحيواناتها ونباتها ومَعْدِنها، فلا تتحرّكُ ذرّةٌ إلا ولله فيها حكمةٌ دالة على عظمته» ومن قوله ﷺ «تفكَّروا في الخلق ولا تتفكَّروا في الخالق، فإنكم لا تقدِرُون قدرَه»[5]. قال المناوي: تفكروا في الخلق: أي تأمّلوا في المخلوقات ودوران هذا الفلك ومجاري هذه الأنهار، فمن تَحقَّق ذلك علم أن لها صانعًا لا يعزب عنه مثقالُ ذرةٍ، ولا تتفكروا في الخالق فإنكم لا تقدرون قدْرَه: أي لا تعرفونه حقّ معرفته.

واعلمْ أن (مَن) في كلام الناظم اسم موصول بمعنى الذي ، و**(الأفكار)** جمع فِكْر بالكسر، وهو تردّد القلب بالنظر والتدبّر لطلب المعاني، يقال: في الأمر فكر: أي نظر وروية، يقال: هو ترتيب أمور في الذهن يُتَوصل بها إلى مطلوبٍ يكون علمًا أو ظنًّا كذا في المصباح، وما مشى عليه الناظم رحمه الله تعالى من عدم تعدّي (هَدَى) بالحرف هو لغة الحجازيين. قال في المصباح: هديته الطريق أهديه هداية هذه لغة الحجاز، ولغةُ غيرها يتعدى بالحرف فيقال هديته إلى

(١) رواه الطبراني في الأوسط عن ابن عمر.
(٢) رواه أبو النعيم في الحلية عن ابن عباس.
(٣) رواه أبو الشيخ (ابن حبان) في كتاب العظمة عن ابن عباس.
(٤) رواه أبو الشيخ عن أبي ذرّ.
(٥) رواه أبو الشيخ عن ابن عباس.

الطريق وللطريق اهـ. وقوله (عزّ) أي غلب وقوي فلا يساويه أحد في ذلك قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨] و(جلّ): أي عظم، فالعزّة القوة والجلالة: العظمة، كذا في المصباح.

• قال الناظم رحمه الله ونفعنا به آمين:

١٤- كُتِبَ المَوْتُ علَى الخَلْقِ فكَمْ فَلَّ مِنْ جَمْعٍ وأفْنَى مِنْ دوَلْ

(١٤)- أي: أوجَبَ سبحانه وتعالى الموت الذي هو مفارقةُ الروح للجسد على جميع الخلق من صغير وكبير وجليل وحقير وغني وفقير وإنس وجن ومَلَكٍ وطير ووحش وذباب ونمل وبعوض وبراغيث وغير ذلك من كل ما خلق الله، وبسبب ذلك الموت الدال على قدرة الله تعالى وقهره جميعَ خلقهِ، قَلَّتِ الجموعُ وخلتِ الربوعُ، فكم قلّل ذلك الموتُ من جمع وأفنى من دُول، فأين أهل المدن والحصون؟ أين أهل المعاني والفنون؟ أين الأُمم الماضية؟ أين أرباب القصور العالية؟.

• **تنبيه:** قال في «المصباح»: الموت ضِدّ الحياة، والمَيْتة: ما لم تلحقها الذكاة الشرعية، والمُوات بضم الميم: الموت، و[المَوات] بالفتح الأرض التي لا مالك لها ولا ينتفع بها أحد. انتهى. وقال فيه أيضًا: تداوُل القومِ الشيءَ: هو حصولهُ في يد هذا تارة، وفي يد هذا تارة أُخرى، والاسم: الدولة بفتح الدال وضمها، وجمع المفتوح دِول بالكسر مثل قَصعة وقِصع، وجمع المضموم دُول مثل غُرفة وغُرف، انتهى. فعُلِمَ من عبارته أنه يجوز في كلام الناظم كسرُ الدال وضمها.

• **فائدة:** ذُكر في «تنبيه الغافلين» ما جاء في هول الموت وشدّتِه ما نصُّه: عن أنس ابن مالك أن رسول الله ﷺ قال « من أحبّ لقاءَ الله أحبَّ اللهُ لقاءه، ومن كرِهَ لقاء الله كره الله لقاءه. قيل: يا رسول الله كلُّنا نكره الموتَ، قال: ليس ذلك كراهةً، ولكن إذا احتضر المؤمن جاءه البشير من الله تعالى بما يَصير إليه، فليس شيءٌ أحبَّ إليه من لقاءِ الله فأحبَّ اللهُ لقاءه، قال: وإن الفاجرَ الكافرَ إذا احتضر جاءَه النذيرُ من الله تعالى بما هو صائرٌ إليه من الشرّ، فكرِهَ لقاءَ الله فكره اللهُ لقاءَه»(١). وقال النبي ﷺ:

(١) رواه ابن ماجه والنسائي والترمذي وقال حسن صحيح.

«لو علمت البهائم ما تعلمون من الموت ما أكلتم منها لحمًا سمينًا أبدًا»[1]. وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجلٍ من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولم يُلْحَد بعدُ، فجلس النبيّ ﷺ وجلسنا حوله وكأنّ على رؤوسنا الطير، وفي يده عودٌ ينكت به الأرض، فرفع رأسه إلى السماء وقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر مرَّتين أو ثلاثًا، ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في إقبالٍ من الآخرة وانقطاعٍ من الدنيا تنزل عليه ملائكةٌ بيض الوجوه كأن وجوهَهم الشمسُ، ومعهم كفنٌ من أكفان الجنة وحَنُوط من حَنوط الجنةِ، فيجلسون منه مدَّ البصر، ثم يجيء مَلَكُ الموت حتى يجلسَ عند رأسه فيقولَ: أيَّتها النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة الله ورضوانه، فتخرجُ وتُسلُّ كما تُسل الشعرةُ من العجين، فيأخذها فلا يَدَعُونها في يده حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن والحنوط، فيخرج منها ريحٌ كأطيبِ نفحةِ مسكٍ وُجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها إلى السماء فلا يمرّون بها على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون روح فلان بأحسن أسمائِه، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون لها أبوابَ السماء، فيشيِّعُه من كلِّ سماء ملائكتُها إلى السماءِ التي تليها، حتى ينتهوا بها إلى السماءِ السابعةِ، فيقول الله عزّ وجلّ: اكتبوا كتابه في عِلّيين وأعيدُوه إلى الأرض التي منها خلقتُهم وفيها أعيدهم ومنها أُخرجهم تارة أخرى، فتعود الروح إلى جسده، ويأتيه ملَكان فيقولان له: من ربُّك؟ فيقول: ربي الله، ثم يقولان له: ما دينُك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما تقول في هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: ما علمك وما عملك؟ فيقول: قرأتُ كتابَ الله تعالى فآمنتُ به وصدّقْتُ، قال: فينادِي منادٍ من السماء: صدَقَ عبدي فافرشوا له فِراشًا من الجنة وألبسُوه لباسًا من الجنة وافتحوا له طاقة من الجنة، فيأتيه من ريحها وطِيبها، ويُفسح له في قبره مدَّ بصره، ويأتيه شخصٌ حسَن الوجه طيّب الريح، فيقول له: أبشرْ بالذي بشرك الله تعالى به، هذا يومك الذي كنت توعد به، فيقول له

---

(١) رواه السيوطي في الجامع الصغير عن أم صبية بلفظ مختلف.

من أنت؟ فيقول: أنا عملُك الصالح، فيقول يا ربِّ أَقِمِ الساعة حتى أرجعَ إلى أهلي ومالي - يعني في الجنة. قال: وأما الكافر إذا كان في إقبال من الدنيا وانقطاع من الآخرة، أنزل الله إليه ملائكةً من السماء سودَ الوجه معهم المسوح، فيجلسون منه مدَّ البصر، ثم يجيءُ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط الله وغضبه، فتفرَّقُ في أعضائه كلِّها، فينزعها كما يُنزع الشّوك من الصّوف المبلول، فيتقطع منها العروق والعصب فيأخذها، فإذا أخذها لم يدَعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في تلك المسوح، فتخرج منها رائحة كأنتن ريح جيفةٍ وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقول: روح فلان ابن فلان بأقبح أسمائه، حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا، فيستفتحون فلا يفتح لها، وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [الأعراف: ٤٠] ثم يقول الله عزّ وجلّ: اكتبوا كتابه في سِجّين، ثم تُطرح روحُه طرحًا، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١] فتُعادُ روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيُجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه لا أدري، فيقولان له: وما دينك؟ فيقول: هاه لا أدري، فيقولان له: ما تقول في هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هاه لا أدري، فينادي منادٍ من السماء: كذبَ عبدي، فافرشوا له فراشًا من نارٍ وألبسوه لباسًا من نار وافتحوا له طاقةً من نار، فيدخل عليه من حرِّها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعُه، ويأتيه شخصٌ قبيحُ الوجه قبيح الثياب منتن الريح، فيقول له: أبشر بالذي يسوؤُك، هذا يومك الذي كنت توعد به، فيقول له من أنت؟ فيقول: أنا عملك، فيقول: يا ربّ لا تُقِم الساعة»[1] انتهى. وقال سلمان بن عبد الملك لأبي حازم: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم عمّرتم دنياكم وخرّبتم أخراكم؛ فأنتم تكرهون النقلةَ من العمار إلى الخراب، فقال: كيفَ القدوم على الله؟

---

(١) رواه السيوطي في الجامع الصغير.

قال: يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالغائب يأتي أهلَه فرحًا مسرورًا، وأما المسيءُ فكالعبد الآبق يأتي مولاه خائفًا محزونًا.

• قال الناظم رحمه الله ونفعنا به آمين:

١٥- أيْنَ نُمْـرُوذُ وكَنْعـانُ وَمَـنْ مَلَـكَ الأرْضَ وَوَلَّـى وَعَـزَلْ

(١٥)- صدَّر الناظم رحمه الله تعالى هذا البيت والأبيات الثلاثة التي بعده بلفظ أين الاستفهامية، تقريرًا للموعظة المذكِّرة للموت الذي ذكره في البيت السابق كالخطيب الذي يقول: أين من مضى من القرون؟ أين الأنبياء والمرسلون؟.

قال في «المصباح»: (وأين) ظرف مكان يكون استفهامًا، فإذا قيل: أين زيد؟ لزم الجواب بتعيين مكانهِ، ويكون شرطًا أيضًا، ويزاد ما فيقال: أينما تقمْ أقمْ انتهى. فكأنَّ الناظمَ رحمه الله تعالى يقول لك: يا أخي أنت غافل عن ذكر الموت، وكأنك عن قريب وقد نُقلت من هذه الدار؟ فإن كنت تنكر ذلك فأين نمروذ وكنعان وعاد وفرعون وغيرهم ممن ذكرته لك، فإنهم مع عُتُوهم وفسادِهم في الأرض وقوّتهم وشدّة بأسهم وتكبّرهم أخذهم الموت على بغتةٍ وهم لا يشعرون ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم:٩٨]، ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٨] فينبغي لك يا أخي أن تعتبر وتتذكر الموت وتكثر من ذكره وتستعدّ له، فإنه ليس له أجلٍ محدود ولا وقتٍ معروف بل يأتي بغتة، فإن أتاك وأنت مستعدّ له كنت من السعداء الفائزين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، هذا هو المراد من كلامه رحمه الله تعالى.

ولنتكلم على من ذكرهم من الجبابرة فنقول: أما **كنعان** فهو أبو النمروذ من أولاد حام بن نوح كما سيأتي، وكان من الجبابرة العتاة الذين يعبدون الأصنام.

وأما **نمروذ** فهو بالدال المهملة وبالذال المعجمة، وهو ابن كنعان، وهو نمروذ إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، وهو أوّل من وُضع التاج على رأسه وتجبّر في الأرض وادَّعى الربوبية وملك الأرض كلّها.

وأما **من ملك الأرض وولّى** غيره المناصب **وعزل** غيره عنها فكثير كما هو معلوم، فكل زمان لا بد فيه من نافذ الأمر والنهي، يجلس مدة ثم يزول وتداول

عليه الأيام حتى يذهب رسمه ويُنسى اسمه، فسبحان من لا يزول ولا يتغير.

قال بعضهم: ملوك الأرض الذين ملكوها من شرقها إلى غربها، ومن يمينها إلى شمالها أربعة: اثنان مسلمان، واثنان كافران؛ فأما المسلمان: فسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام، واسكندر ذو القرنين. أما سليمان فقد ذكره الله تعالى في القرآن العزيز في قوله عزّ من قائل: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ ﴾ الآيات [ص: ٣٥-٣٦]. وأما إسكندر ذو القرنين فذكر الله قصته في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ۝ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الآيات.. [الكهف: ٨٣ - ٨٤]. وهو من أولاد سام بن نوح، وأسلم على يد الخليل عليه الصلاة والسلام وكان رجلاً صالحًا ولم يكن نبيًّا، وعاش ألف سنة وستمائة [١٦٠٠] سنة رضي الله تعالى عنه، وهو ذو القرنين الأكبر.

وأما الاثنان الكافران: فالنمرود بن كنعان المتقدم ذكره. والثاني ذو القرنين الأصغر، وهو من أولاد العيص بن إسحق وكان بينه وبين المسيح ثلثمائة سنة، وهو كافرٌ باتفاق، وهو الذي نسبت إليه الإسكندرية المدينة المشهورة. وذكر الخازن [في تفسيره] أن الثاني من الكافرين بُختنصر بدل من ذي القرنين الأصغر.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

١٦- أيْنَ عادٌ أيْــنَ فِرْعَــوْنُ وَمَــنَ   رَفَعَ الأهْــرَامَ؟ مَــنْ يــسْمَعْ يَخَــلْ

(١٦)- أي فتذكر الموت، وانظر إلى هؤلاء الجبابرة كيف قصمهم الله تعالى وأبادهم وأهلكهم، ولم تنفعهم أموالهم ولا جنودهم ولا حصونهم العالية المرتفعة كما سيأتي في قول الناظم: (هلك الكل فلم تغن القلل).

وقوله **(أين عاد)**، شامل لعاد الأولى ولعاد الثانية.

أما عاد الأولى، فهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح. وكان جبارًا عنيدًا عاش ألف سنة ومائتي سنة [١٢٠٠]، ورُزقوا من القوة ما لا يُرزقُه أحد كما قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ [فصلت: ١٥]، فلم تكن قبيلةٌ

في الأرض أشد منهم؛ لأنه لو كان هناك قبيلة في الأرض أشد منهم لرد الله عليهم بها، فلما لم يكن أشد منهم إلا الله الذي خلقهم قال ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ الآية.

قال السُّدِّي: بعث اللهُ عليهم الريح العقيم، فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل تطير بها الريح بين السماء والأرض، فهربوا وأغلقوا بيوتهم، فجاءت ريح ففلقت أبوابهم، ثم دخلت عليهم فأهلكتهم ثم أخرجتهم من البيوت، فلما أهلكتهم أرسل اللهُ عليهم طيرًا أسود فنقلهم إلى البحر. قالوا: ولم يخرج ريح قط إلا بمكيال إلا في ذلك اليوم فإنها عتت على الخزنة فغلبتهم، فلم يعلموا كم مكيالُها.

وأما عاد الثانية، فهو نسل وعَقِب عادٍ الأولى؛ قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝ ﴾ . [الفجر: ٦ - ٨].

وأما فرعون: لما خاطب اللهُ موسى بالرسالة إلى فرعون دخل ووقف بين يديه، فعرفه فرعون حق المعرفة ولكن قال له: من أنت؟ فقال له موسى: أنا عبد الله ورسوله وكليمه، فقال له فرعون: إنك عبد فرعون، فقال موسى: الله أعزّ من أن يكون له ندّ. وجعل المؤمنون يزيدون مع موسى عليه السلام حتى كثروا، فنادى موسى في بني إسرائيل بالرحيل، فارتحلوا وهم ستمائة ألف والكل من ولد يعقوب، فسمع فرعون بارتحالهم، فنادى فرعون بجنوده، فاجتمعوا وكانوا لا يُحصَون عددًا لكثرتهم، واعتقد فرعون أن موسى خرج هاربًا منه، فسار فرعون وجنوده خلف موسى حتى قربوا من بني إسرائيل، فقالوا يا موسى قد لحقَنا فرعون، فقال موسى ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۝ ﴾ [الشعراء: ٦٢]، فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، فضرب فانفلق اثنى عشر طريقًا للأسباط الاثنى عشر لكل سبط طريق، فجعلوا يسيرون في البحر ويتحدثون ويرى بعضهم بعضًا، وموسى أمامهم وهرون وراءهم حتى خلصوا من البحر، فجاء فرعون وحوله وزراؤه، فنظر إلى البحر يابسًا، فتحدث في نفسه أن يدخل في تلك الطريق لأجل أن يلحق موسى ثم أخذت الطرق يلطم بعضها بعضًا والناس يغرقون وفرعون ناظر إليهم، فلما استيقن الموت قال ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ ﴾ [يونس: ٩٠]، فقال الله تعالى: ﴿ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ

ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [يونس: ٩١]، قال تعالى: ﴿ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [القصص: ٤٠]، ثم إن بني إسرائيل قال بعضهم لبعض: إن فرعون لم يغرق، فأمر الله تعالى البحر فألقاه إلى الساحل ليراه بنو إسرائيل؛ فلما رأوه عرفوا أنه قد غرق وهلك، فسبحان الملك الجبار الذي يمهل على الطغاة ولا يهملهم بل يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

ولنرجع إلى قول الناظم: **(ومن رفع الأهرام)**: أي بناها، فنقول: الباني لها مَلِكٌ من ملوك مصر. ولله درُّ القائل:

انظرْ إلى الهَرَمَيْنِ واسْمَعْ مِنهما	ما يَرْويان عن الزَّمان الغَابرِ
لو يَنطقان لَخَبَّرانا بالذي	فَعَلَ الزَّمانُ بأوَّلٍ وبآخِرِ

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

١٧- أيْنَ مَنْ شَادُوا وسَادُوا وَبَنَوْا	**هَلَكَ الكُلُّ فَلَمْ تُغْنِ القُلَلْ**

(١٧)- الأولى بالشين المعجمة: أي بَنوا بيوتهم بالشيد، والثانية بالسين المهملة: أي سادوا أقرانهم ونظراءَهم بما أعطاهم الله من القوة والبأس والعتو، وفي نسخة بدل الثانية **(جادوا)**: أي تكرَّموا. قال في «المصباح»: جاد الرجل يجود من باب قال، جُودًا بالضم تكرّم فهو جواد أي كريم، وجاد بالمال بَذَله وأعطاه. انتهى.

وقال في «المصباح» أيضًا: الشِّيد بالكسر: الجصُّ، وشِدتُ البيتَ أُشيده من باب باع بَنَيْتُه بالشيد فهو مَشيد، وشيَّدتُه تَشْييدًا طوَّلته ورفعته. انتهى.

وقوله **(وبَنَوْا)** بفتح النون وسكون الواو: أي دُورًا مزخرفة يُحتمل أن الناظم رحمه الله تعالى أراد بذلك ثمود قوم صالح، فقد ذكرهم بعد عاد كما هو الغالب في ترتيب القرآن العظيم، فهم الذين بَنَوْا الأرض واتخذوا من سهولها قصورًا، ونحتوا من الجبال بيوتًا، وبقوتهم وكثرتهم استكبروا في أنفسهم وعتو عتوًّا كبيرًا، فأُهلكوا بالطاغية وأخذتهم الصيحة كما قال تعالى: ﴿ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٧٨]. ويُحتمل أنه أراد غيرهم من مطلق الناس، فيكون شاملاً لكل من شاد وساد وبنى.

وقوله **(هلك الكُلُّ)**: أي الجميع من نمروذ وما بعده. **(ولم تغن القُلل)** بضم

القاف: أي القصور العالية؛ قال في «المصباح»: قُلَّة الجبل أعلاه والجمع قُلَل وقِلال، وقُلَّة كل شيء أعلاه. انتهى. ولله در الملاَّح حيث قال في تخميسه:

أين مَن مِن رَوضة الفضل جَنَوا   أيـن مَـن مِـن بهجـة العلـم دَنَـوْا
أين مَـن جـاوزوا المعـالي واقتَنَـوْا   (أيـن مَـن شـادوا وسـادوا وبنـوا
هَلَكَ الكُلُّ فلَم تُغن القُلل)

واعلم أنه قد جرت عادة الله في خلقه أنه لا يمضي قرن من القرون إلا ويموت أهله وتبطل معالمه وتندرِس رسُومه؛ كل ذلك إظهارًا لقدرته وتحقيقًا لعجز الخلق، وقد أخبر الله تعالى في كتابه العزيز في آيات كثيرة بهلاك الأمم الماضية قرنًا بعد قرن وجيلاً بعد جيل وعالَمًا بعد عالَم؛ قال تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ۝ ﴾ [الحج:٤٥]. والآيات في هلاك القرون السابقة كثيرة جدًا، فكفى بالقرآن واعظًا.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

١٨- أَيْنَ أَرْبابُ الحِجا أهْل النُّهَـى   أيْـنَ أَهْـلُ العِلْـمِ والقَـوْمُ الأُوَلْ

(١٨)- هذا شروع من الناظم في ذكر موت الصالحين بعد أن ذكر هلاك الجبابرة. فالدنيا ليست دار إقامة لا لصالح ولا لطالح كما هو مشاهَد؛ أي أين أصحاب **الحِجا** بالكسر والقصر: أي العقل، ويسمى العقل أيضًا نُهية على وزن غُرفة وجمعها نُهَى كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ۝ ﴾ [طه: ٥٤]. أي لأصحاب العقول، ويسمى أيضًا لُبًّا وجمعه أَلْبَاب؛ كما في قوله تعالى: ﴿ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ ﴾ [آل عمران: ١٩٠]. ويسمى أيضًا قلْبًا؛ كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ [ق: ٣٧] أي عقل. قال بعضهم: وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمَّى، فليس شيءٌ أفضل من العقل، ولذلك كان نبيُّنا عليه أفضل الصلاة والسلام أعقل الناس.

وقوله **(أهل النُّهى)** بالرفع بدلٌ من أرباب الحِجا؛ لأن النهى جمع نُهية، والنُّهية هي العقل كما تقدم فهي مرادفة للحِجا.

و قوله **(أين أهل العلم)** كالأئمة الأربعة المجتهدين وأتباعهم المتقدمين.

وقوله (والقوم) بالرفع عطفٌ على أهل: أي وأين القوم الأُوَل بضم الهمزة وفتح الواو جمع أَوَّل كالصحابة والتابعين: أي فالكل قد حكم اللهُ عليهم بالموت قرنًا بعد قرن وجيلاً بعد جيل، فسبحان الباقي بعد فناء خلقه.

• قال الناظم رحمه الله تعالى:

١٩- سَـيُعِيدُ اللهُ كُـلاًّ مِـنْهُمُ   وَسَـيَجْزِي فَـاعِلاً مـا قَـدْ فَعَـلْ

(١٩)- أي سيجمع الله نمروذ وكنعان ومن ذكره الناظم بعدهما، ويجمع غيرهم أيضًا من جميع الحيوانات، ويُجازي كل فاعل بما فعله من خير وشر، وفي كلامه إشارة إلى أن الله سبحانه وتعالى يجمع الخلق بعد الموت من التراب والخزف واللبن، ومن أجواف السمك والسباع والطيور والهوام كيف كانوا، وإن الله تعالى ينبتهم من الأرض نباتًا كما بدأهم أوَّل مرَّة فيَنبُتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ويجمعهم في صعيد واحد، ويحاسبهم على الفتيل والنقير والقطمير وغير ذلك؛ قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ۝ ﴾ [المؤمنون: ١٥-١٦] وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ ﴾ [الروم: ١١] وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم: ٢٧] وقال تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] وقال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]. والآيات والأحاديث الدالة على إثبات البعث كثيرة شهيرة.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٢٠- أيْ بُنَيَّ اسْمَعْ وَصَايا جَمَّعَـتْ   حِكَمًـا خُـصَّتْ بِهـا خَيْـرُ المِلَـلْ

(٢٠)- لفظة (أي) للنداء؛ فأي من أدوات النداء مثل يا، و(بني) منادى يُحتمل أن يكون ابنَه من النَّسب حقيقةً والخطاب له، ويُحتمل أن يكون الخطابُ لغيره مطلقًا على سبيل العموم وعلى وجه النصيحة، ويكون النداء له على حد نداء النكرة غير المقصودة كقول الواعظ: يا غافلاً والموت يطلبه، وقول الأعمى: يا رجلاً خذ بيدي. و(الوصايا) جمع وصية، والمراد بها هنا نشر العلم ونفع المسلمين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدلالة على الخير وغير

ذلك، و(الحِكم) جمع حِكمة، والمراد بها العلم المقرون بالعمل. وقيل هي علم القرآن؛ ناسخه ومنسوخه، ومُحْكَمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله. وقيل هي الأمانة في القول والفعل. وقيل هي معرفة معاني الأشياء وفهْمُها. وقيل هي النبوة. وقيل غير ذلك؛ قال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]. و(المِلل) جمع مِلَّة، وخيرها مِلَّة الإسلام؛ قال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقد فضَّل الله تعالى هذه الأُمَّة على سائر الأُمم؛ قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال في «تنبيه الغافلين» في الباب الرابع والسبعين ما نصه: قال كعب الأحبار: إن الله تعالى أكرم هذه الأمة بثلاثة أشياء قد أكرم بها أنبياءه: أحدها أنه جعل كُلَّ نبيٍّ شاهدًا على قومه، وجعل هذه الأمة شهداء على الناس. والثاني: أنه قال للرسل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال لهذه الأمة: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٥٧]. والثالث: قال لكلِّ نبي دعوةٌ مستجابة، وقال لهذه الأمة: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

واعلم أن الله تعالى اختار أُمَّة سيدنا محمد ﷺ على الأمم، وخيار الأُمَّة علماؤها، وأعلمُ هذه الأمة أصحاب رسول الله ﷺ، ثم خيار كل قرن علماؤه. انتهى.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٢١- اطْلُبِ العِلْمَ ولا تكْسَلْ فَمَا ... أبْعَدَ الخَيْرِ على أهْلِ الكَسَلْ

(٢١)- أي اجتهد في تحصيل العلم وطلبه وهو إدراك العلوم على ما هو عليه في الواقع أو هو حُكم العقل الجازم المطابق للواقع ، فخرج بالأول الشك والوهم، بناءً على القول بأنه لا حُكم فيهما، وخرج بقيد الجازم الظنّ، وبقيد المطابق للواقع غيرُه، فهو الجهلُ المركَّب وهو اعتقاد الشّيء على خِلاف ما هو

عليه في الواقع كإدراكِ الفلاسفةِ قِدم العالم، وسُمّي مركَّبًا لتركبه من جهلين: عدمُ العلم، واعتقادُ أنه عالِم. وقوله: **(ولا تكسل)** أي لا تسأمْ أيها الطالب عن الاشتغال به؛ لأن آفة الكسل والسآمة قبيحةٌ شنيعة كما قال الناظم (فما أبعدَ الخَير على أهل الكسل)، **والخيرُ**: اسمٌ جامع لأنواع الفضائل، فهو خلاف الشرّ.

• **تنبيه:** الأمر في قول الناظم **(اطلب)** للوجوب ، فطلب العلم واجب كما قال ﷺ: «طلبُ العِلم فريضة على كل مُسلم ومُسلمة»(١).

قال بعض العلماء: أراد به علمَ التوحيد وعلمَ أحوال القلب وعلمَ الشريعة.

فأما علم التوحيد، فهو أن يعرفَ الشخصُ أن له إلهًا عالمًا قادرًا حيًا مريدًا متكلمًا سميعًا بصيرًا واحدًا متصفًا بصفاتِ الكمال، منزَّهًا عن النقصان والزوال ليس كمثله شيءٌ، وأن يعرفَ أن له ملائكةً وهم عبادُه لا يعصونه فيما أمرهم به ويفعلون ما يُؤمرون به، لا يأكلون ولا يشربون، وأن يعرف أن له كتبًا منزلةً وكلها منسوخة بالقرآن، وأن يعرفَ أن له رسلاً أرسلهم إلى الخلق أوَّلهم آدمُ عليه الصلاة والسلام وآخرهم سيدنا محمد ﷺ، وأن شريعتَه باقيةٌ إلى يوم القيامة، وأن يعرفَ أن سؤالَ منكر ونكيرٍ حقٌ والحشرُ والنشرُ حق، والجنةُ والنارُ حقٌ، والحسابُ والميزانُ حقٌ، والصراطُ حقٌ، وأن يعرفَ أن القدَرَ خيرُه وشرُّه من الله تعالى، لا يجري شيءٌ في الوجود إلا بإرادتِهِ ومشيئتِهِ.

وأما علم أحوال القلوب، فهو أن يعرف الشخصُ أن للقلب أخلاقًا محمودةً فيفعلُها، وأخلاقًا مذمومة فيتباعدُ عنها: أما المحمودةُ، فكالتوكل على الله تعالى، والإخلاص له سبحانه وتعالى، والحمدِ والشكرِ على النعم، والتوبة من المعاصي، والخوفِ والرجاءِ والزهدِ والصبرِ والمحبةِ، والرضا بالقضاءِ، وذكرِ الموت. وأما المذمومةُ؛ فكالحرصِ على الطعامِ والشرابِ، وكراهيةِ الجوع مع أن فيه فوائد: منها صفاءُ القلب ورقتُه، وذلُّ النفس وكسرُ الشهواتِ، وزوالُ النوم المانعِ من العبادةِ، وكالحرصِ على الكلام فيما لا يعني؛ لأن للسان آفاتٍ كثيرةً، والغالبُ عليه منها الغيبةُ والكذبُ والمدحُ والمزاحُ، وكالغضبِ والحسدِ والبخلِ، وحبِّ الجاهِ وحبِّ

---

(١) رواه السيوطي في الجامع الصغير.

الدنيا، والكِبْر والعُجب والرياء، وغير ذلك من أمراض القلوب.

وأما علم الشريعة، عليك فعلُه، فالواجبُ عليكَ معرفته لتؤدّيه على حقيقتِه؛ كالطهارةِ والصلاةِ، وغير ذلك من أنواع العبادات والمعاملات والمناكَحَات .

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٢٢- وَاحْتَفِلْ للْفِقْــهِ فِي الــدِّينِ وَلا تـــشْتَغِلْ عَنْـــهُ بِمَـــالٍ وَخَـــوَلْ

(٢٢)- **[احتفل]** أي اجمع حواسّكَ **(للفقهِ)** أي للفهم في الدين أي في أحكامه، **(ولا تشتغل)**: أي لا تلته عنه **(بمال)** ولو كثر، **(ولا خَولَ)** بفتح الخاء المعجمة والواو كخدم وحَشَم وَزْنًا ومعنى، أفاده في المصباح، ففي هذا البيت الأمر بالاجتهاد في طلب العلم الذي لا بدّ منه وهو العلم الشرعيّ، كالفقه والحديث والتفسير والآلات الموصلة إلى فهم ذلك؛ لأنه هو الذي يجب على الإنسان الاشتغال به لأجل أن يعرفَ ما هو مطلوبٌ منه مِن فرضٍ ونفلٍ، وما هو منهيٌّ عنه من حرام ومكروه، فعُلِم من هذا التقرير أن المراد بالفقه في النّظم معناه اللغوي وهو الفهم، فقوله **(واحتفِلْ للفقه)**: أي للفهم في الدين: أي في أحكامه، وليس المراد به معناه الاصطلاحي الذي هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية؛ لأنه بهذا المعنى قاصر على الفقه فقط.

والدين في اللغة يطلقُ على معانٍ: منها الجزاء، قال تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤] أي الجزاء، ومنها الطاعة، يقال: فلانٌ دان لفلان: أي أطاعه، واصطلاحًا: ما شرعه الله من الأحكام على لسان نبيِّه محمد ﷺ .

وفي هذا الباب أيضًا النهي عن الاشتغال عن العلم بما هو من القواطع عنه، كالمال والحشم والخدم والأمور المتعلقة بتحصيل الدنيا وغير ذلك.

وذكر في الجامع الصغير أنه ﷺ قال: «فقيهٌ واحد أشدّ على الشيطان من ألف عابد».

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٢٣- وَاهْجُرِ النَّـــوْمَ وَحَـــصِّلْه فَمَـــنْ يَعْرِفِ المَطْلُــوبَ يَحْقِــرْ مـــا بـــذَلْ

(٢٣)- [واهجر] أي اترك النوم، (وحصله): أي العلم الشرعيّ مع آلاته

لا كلَّ علم؛ لأن العمر يقصرُ عن تحصيل كلِّ علم خصوصًا في هذا الزمن الذي كثرت فيه الشواغل، ولا تستعظمْ تركَ النوم في تحصيلِهِ، لأن من يعرف المطلوبَ وعظمَتِهِ ونفعه (يحقِرُ) بفتح الياء التحتية وكسر القاف من باب ضرب: أي لا يعبأُ أو لا يعتني بالشيء الذي بذَلَه وأعطاه من طيبِ نفسٍ؛ هكذا يستفاد من المصباح، فقد أمر الناظم رحمه الله تعالى بهجر النوم وتحصيل العلم؛ لأن من طبع النفس النوم والكسل والميل إلى اللّهو واللّعب والتّنعم والفتُور عن الطاعات، خصوصًا عن العلم، والليل تتفرّغ فيه الحواسّ عن الشواغل، وتنقطع فيه الأمور المتعلقة بالدنيا غالبًا، فينبغي سهرُهُ وتحصيلُ العلوم فيه، فهو إن فاتتْه لذّةُ النوم فقد حَصَلتْ له لذّةٌ أعلى وأعظم من ذلك؛ لأن المعلوم عند [أهل العلم] أنهم لا يتلذذون بشيء أحلى منه، حتى إن المشتغلين به الملازمين لتحقيق مسائله وتدقيق فضائله يحصل لهم به من الفرح والسرور والطرب ما لا يحصل لغيرهم ممن يتحرّى سماعَ الآلات والمآكل والمشارب وغير ذلك.

ثم إن الناظم رحمه الله تعالى ذكر مثالاً بيَّن به أن من يعرف فضل العلم وما أعدَّه الله لطالبه في الدّار الآخرة من الأجر العظيم والنعيم المقيم احتقر في جنب ذلك ما يلاقيه من الأمور الشاقة في الدنيا وما يحصل له من التعب والسّهر وتركِ اللذاتِ الدنيوية وما يُصيبه من المصائبِ كنقصٍ في رزقه أو ولده أو نحو ذلك، وهو قوله: (فمن يعرفِ المطلوبَ يحقرْ ما بذل). ولله درّ إمامنا الشافعي رضي الله عنه حيث قال:

ومَــنْ لَــمْ يَــذق ذلّ الــتَّعلُّم سَــاعةً   تَجَــرَّعَ ذلَّ الجهــلِ طُــولَ حياتــه

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٢٤- لا تَقُلْ قَــدْ ذَهَبَــتْ أربابُــهُ   كُلُّ مَنْ سارَ عَلــى الــدَّرْب وَصَــلْ

(٢٤)- أي لا تقل قد مضتْ (**أربابُه**): أي أصحابه بموتهم وانقراضهم؛ لأن في المثل المشهور أن كل من سار على الدَّرب وصل إلى مطلُوبه، و(**الدَّربُ**): المدخل بين الجبلين والجمع دُرُوب مثل فَلْس وفلوس، وليس أصلُه عربيًّا، والعرب استعملته في معنى الباب، فيقال لباب السكة دَربْ، وللمدخل الضيق درب لأنه كالباب في التوصّل بكل؛ قاله في المصباح.

وهذا البيت جواب عن سؤال مقدَّر، فكأن قائلاً قال للناظم رحمه الله تعالى: كيف يتيسرُ الاشتغالُ بالعلم وقد انقرض بانقراض أهلِهِ وتعذّر تحصيلُه؟ فأجابه بقوله: قد ذهبت أربَابُه، فإنه قد جرت عادة الله في خلقه على ممرّ الأعوام والدّهور أنه لا يخلو زمنٌ من العلماء إقامةً لشريعته ﷺ، وأنه إذا ماتت طائفة خَلَفَتْها أخرى كما قال النبيُّ ﷺ: «من يُرِدِ اللهُ به خيرًا يُفقهه في الدِّين، وإنما أنا قاسمٌ والله مُعطي، ولن يزال أمرُ هذه الأمة مستقيمًا لا يضرّهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله»[1]. فينبغي الاجتهاد في العلوم، لأن لكل مجتهد نصيبًا.

قال ﷺ: «كُن عالِمًا أو مُتعلِّمًا أو مُستمعًا أو محبًّا، ولا تكن الخامسةَ فتَهْلِك»[2].وهو الذي يكره العلماء. وقال ﷺ لعليّ: «لأن يَهدِيَ اللهُ بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من حُمُر النّعم»[3]. وقال الشافعي رضي الله عنه: مجلس فقهٍ خير من عبادة ستين سنة. وقال ﷺ: «العُلماء ورثة الأنبياء»[4]. وقال ﷺ: «فضل العَالِم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب»[5]. وقال ﷺ: «فضل العالِم على العابد كفضلي على أدناكم، إن الله عزّ وجلّ وملائكتَه وأهل السمواتِ والأرضين، حتى النملةَ في جُحرها وحتى الحوتَ ليُصَلّون على معلم الناس الخير»[6]. ذكره في الجامع الصغير .

ويقال: مَن ذهب إلى عالِمٍ وجلس عنده ولم يَقدر على حفظ شيء مما قاله إلا أعطاه الله سبع كرامات: **أولها**: ينال فضل المتعلمين. **وثانيها**: ما دام عنده جالسًا كان محبوسًا عن الذنوب والخطايا. **وثالثها**: إذا خرج من منزله نزلت عليه الرحمة. **ورابعها**: إذا جلس عنده نزلت الرحمة على العالم فتصيبه ببركته. **وخامسها**: تكتب له الحسنات ما دام مستمعًا. **وسادسها**: تحفهم الملائكة بأجنحتها وهو فيهم.

---

(١) رواه السيوطي في الجامع الصغير.

(٢) رواه البزار عن أبي بكرة، والسيوطي في الصغير بلفظ «اغد».

(٣) متفق عليه (كما في مشكاة المصابيح).

(٤) رواه أبو داود والترمذي بلفظ «إن العلماء»، وقال الترمذي: ولا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة وليس هو عندي بمتصل. وورواه السيوطي في الصغير.

(٥) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي، وقال: ليس بمتصل.

(٦) رواه الترمذي وقال: حديث غريب.

وسابعها: كل قدم يرفعها ويضعها تكون كفَّارة للذنوب ورفعًا للدرجات وزيادة في الحسنات، هذا لمن لم يحفظ شيئًا. وأما الذي يحفظه فله أضعاف ذلك مضاعفة .

وعن عمر رضي الله عنه أنه قال: إن الرجل ليخرج من منزله وعليه ذنوبٌ مثل جبال تهامة، فإذا سمع العلمَ خاف اللهَ واسترجع من ذنوبه فينصرف إلى منزله وليس عليه ذنب، فلا تفارقوا مجالس العلماء؛ فإن الله لم يخلق على وجه الأرض أكرم من مجالسهم .

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٢٥- فِي ازْدِيادِ العِلْمِ إرْغـامُ العِـدا   وَجَمَـالُ العِلْـمِ إصْـلاحُ العَمَـلْ

(٢٥)- أي في زيادة العلم والإكثار منه إرغام: أي إذلال وإهانة، (العدا) بكسر العين جمع عدوّ، ويجمع أيضًا على أعداء، والعدوّ خلاف الصَّدِيق، قال في المصباح: وإنما كانت الزيادة في العلن إرغامًا للأعداء، لأن من زاد علمًا بلغ مناه وارتفع قدره بين الأنام، وتكامل فخره بين الخاصّ والعامّ، وطاب عيشه، وظفر بسعادة الدنيا والآخرة.

ويقال: أشد الحسرات يوم القيامة ثلاثة: رجلٌ له مملوك صالح يدخل الجنة ومولاه يدخل النار، ورجل جمع مالاً حلالاً فمنع منه حقوق الله تعالى ومات فأنفقه ورثته في الطاعة، فينجون به والذي جمعه في النار، ورجلٌ عالِمٌ غير عامل ينجو الناس بعلمه وهو يصير إلى النار».

ورُوي عن بشْر بن الحارث أنه كان يقول لأصحاب الحديث: أدُّوا زكاةَ هذه الأحاديث، قالوا كيف نؤدي زكاتها ؟ قال: أن تعملوا مِن كل مائتي حديث بخمسة أحاديث .

ورُوي عن النبيّ ﷺ أنه قال: «مَن تعلَّم العلم لأربعٍ دخل النار: ليباهي به العلماءَ، أو يماري به السفهاءَ، أو يُقبل به وجوه الناس إليه، أو يأخذ به الأموال من الأمراء»[1].

---

(١) رواه ابن ماجه بلفظ: «من طلب العلم ليُماري به السفهاء أو ليباهي به العلماء أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو في النار».

وقال الفضيل بن عياض: إذا كان العالم راغبًا في الدنيا حريصًا عليها فإن مجالسته تزيد الجاهل جهلاً والفاجر فجورًا، وتقسي قلب المؤمن. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العلماء أمناء الرسل على عباد الله تعالى ما لم يخالطوا السلطان ولم يدخلوا في الدنيا، فإذا دخلوا في الدنيا فقد خانوا الرسل، فاعتزِلوهم واحْذروهم على دِينكم»[1] انتهى.

قيل لإبراهيم بن عيينة: أيّ الناس أطول ندامة ؟ قال: أمَّا في الدنيا فصانعُ المعروف إلى من يُنكره، وأمَّا في الآخرة فعالِمٌ مُفرِّط. انتهى.

فعُلم من هذا أن جميع ما ذُكر في فضل العلم واردٌ في شأن العلم النافع، وهو الذي يعمل به صاحبه، وغيره مذموم .

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٢٦- جَمِّلِ المَنْطِقَ بالنَّحْوِ فَمَنْ ... يُحْرَمِ الإعْرَابَ بالنُّطْقِ اخْتَبَلْ

(٢٦)- [جَمِّل] أي زيِّن حُسن (المنطق): أي النطق والكلام بالنحو، **(فمن يُحرم الإعراب)**: أي التبيين والإيضاح بمعرفة الفاعل والمفعول وغير ذلك **(اختبل)** في النطق: أي تحيَّر في كلامه ولم يدر الصواب من الخطأ، و(من) في النظم يحتمل أن تكون موصولة فما بعدها مرفوع، أو شرطية فما بعدها مجزوم، وحُرِّك بالكسر لالتقاء الساكنين، وعلم من النظم أن النحو جمال الألسنة وكمال العلماء، وبه تُعرف معاني الكتاب والسُّنة النبوية، وبه يُخاطب اللهُ عبادَه في الجنة. انتهى.

وهو: أي النحو علمٌ بأصول مستنبَطة من استقراء كلام العرب يُعرَف به أواخر الكلم إعرابًا وبناءً. **وموضوعه**: الكلمات العربية من حيث يُبحث فيها عن الإعراب والبناء. **وفائدته**: معرفة صواب الكلام من خطئه. **وغايته**: الاستعانة على فهم كلام الله ورسوله، والاحتراز عن الخطأ في الكلام .

وجاء النحو في اللغة لمعان خمسة: أحدها: القصد، يقال: نحوت نحوك: أي قصدت قصدك. ثانيها: المَثل، يقال: مررت برجلٍ نحوك: أي مثلك. ثالثها: الجهة، يقال: توجهت نحو البيت: أي جهته. رابعها: المقدار يقال له: عندي نحو

---

(١) رواه السيوطي في الصغير عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

ألفٍ: أي مقدار ألف. خامسها: القِسْم نحو: هذا لي أربعة أنحاء: أي أقسام.

وسبب تسمية هذا العلم بالنحو ما قيل إن أبا الأسود الدِّيْلي بكسر الدال المهملة وسكون المثناة التحتية كما ضبطه سيدي يوسف الحفني في حواشي الأشموني قال: دخلتُ يومًا على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه، فرأيته مطرقًا متفكرًا، فقلت: فيم تتفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: إني سمعت بهذه البلدة لحنًا، فأردت أن أصنع كتابًا في أصل العربية، فقلت له: إن فعلتَ هذا يا أمير المؤمنين أحييتنا وبقيتْ هذه اللغة فينا. ثم أتيته بعد ثلاث، فألقى إليّ صحيفة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم: الكلام كله اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ، فالاسم ما أنبأ عن المسمَّى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمَّى، والحرف ما أنبأ عن معنًى ليس باسمٍ ولا فعلٍ، والفاعل مرفوع وما سواه فرعٌ عليه، والمفعول منصوب وما سواه فرع عليه، والمضاف إليه مجرور وما سواه فرعٌ عليه، وقال انحُ لهم هذا النحو يا أبا الأسود، واعلم يا أبا الأسود أن الأشياء ثلاثة: ظاهر، ومضمَر، وشيء ليس بظاهر ولا مضمر، وإنما يتفاوت فضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر، قال أبو الأسود: فجمعت منه أشياء وعرضتها عليه، فكان من ذلك حروف النصب، فذكرت منها إنّ وأن وليت ولعلّ وكأنّ ولم أذكر لكن، فقال: لِمَ تركتها ؟ فقلت لم أحسبها منها، فقال: بل هي منها، فزدتها. ذكره الإمام السيوطي في تاريخ الخلفاء .

ولله درّ القائل:

النَّحـو قَنْطـرةُ الآداب هـل أحـدٌ ... يجـاوز البحـرَ إلاَّ بالقنـاطير

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٢٧- وَانْظِمِ الـشِّعْرَ وَلازِمْ مَـذْهَبِي ... فـاطِّراحُ الرِّفْـدِ في الـدّنيا أقَـلْ

(٢٧)- **(انظم)** بكسر أوله وثالثه من باب ضرب، و**(الشعر)** بكسر الشين المعجمة منصوب على المفعولية، وهو النظم الموزون، وتعريفه؛ أي النظم الموزون: ما تركَّب تركيبًا متعاضدًا وكان مقفًّى موزونًا مقصودًا به ذلك، فما خلا من هذه القيود أو من بعضها فلا يُسمى شعرًا ولا يُسمى قائلُه شاعرًا، ولهذا ما ورد في الكتاب العزيز والسُّنة النبوية موزونًا فليس بشعرٍ لعدم القصد والتقفية، وكذلك ما يجري على ألسنة

بعض الناس من غير قصد، لأنه أي الشعر مأخوذ من شعرت إذا فطنت وعلمت، وسُمِّي شاعرًا لِفطنته وعلمه به، فإذا لم يقصده فكأنه لم يشعر به. انتهى (مصباح) .

وقوله **(ولازمْ مذهبي)**: أي وتعلق بطريقتي وقصدي في الشعر من كوني لا أنظم إلا نظمًا جائزًا كنظمي البهجة في الفقه وكهذه القصيدة وأشباهها. والذي تلخص من كلام العلماء أن الشعر الجائز الذي خلا عن هجوٍ وعن الكثرة في المدح، وخلا عن الكذب، وخلا عن التغزُّل بمعيَّن. وقد نقل ابن عبد البرّ الإجماع على جوازه إذا كان كذلك، ذكره العلاّمة العلقمي على الجامع الصغير، وقوله **(فاطراح الرفد)**: أي فاطراح الرفد، وإلغاؤه ورميه في الدنيا أقل، والرفد بكسر الراء العطية والإعانة كما يُستفاد من المصباح. والمعنى: فإلقاء العطية في الدنيا قليل، والأكثر أخذها وقبولها، ومن جملة العطايا نظم الشعر.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٢٨ــ فَهْوَ عُنْوَانٌ عَلى الفَضْلِ، وَمــا أحْـــسَنَ الـــشِّعْرَ إذا لَـــمْ يُبْتَـــذَلْ

(٢٨)- أي فالشعر **عُنوان** بضم العين وكسرها، وعنوان كل شيء ما يستدلّ به عليه؛ أي فهو دليل على **الفضل** الذي هو الزيادة في الشيء، فَمن أهَّله الله تعالى استُدلّ به على فضيلته وعلمه.

وقوله **(وما، أحسن الشعر إذا لم يبتذل)** أي إذا لم يُمتهن كالمبالغة في المدح بغير أصل، وفي الذم كذلك، قال في المصباح: بذلت الشيء بذلاً امتهنته وانتقصته. انتهى. و**(ما)** اسم تعجب في موضع رفع على الابتداء، وهي نكرة تامة عند سيبويه، وسوّغ الابتداء بها ما فيها من معنى التعجب، **وأحسن** فعل ماض، وفيه ضمير مستتر يعود إلى (ما) مرفوع على الفاعلية، **والشعر** مفعول به لأحسن، وجملة **أحسن الشعر** في موضع رفع خبر ما التعجبية. انتهى.

والمقرّر عند الشعراء أنه أرفع الفنون قدرًا وأكملها فخرًا وكفاه شرفًا ما قاله رسول الله ﷺ: «إن من الشعر لحِكمة»[1]. ولله درُّ الملاّح حيث قال في تخميسه:

كــلُّ مَــن في الــشعر حقًّــا نظمــا زادَه بـــــينَ البرايــــا عِظمـــــا

(١) رواه ابن ماجه عن أبي بن كعب.

وأجلّتــــه جميــــعُ العظمـــــا (فهـو عنـوانٌ علـى الفـضل ومـا أحسنَ الشعرَ إذا لم يُبتذل)

ولا يقدح فيه ما ورد في ذمِّه وذمّ الشعراء؛ قال تعالى: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ [الشعراء :٢٢٤]؛ لأن ذلك ورد في شعراء الجاهلية الذين كانوا يتفاخرون في مراسلاتهم ومحاوراتهم وقتالهم كامريء القيس وطرفة بن العبد وعنترة العبسي وأشباههم من شعراء الجاهلية المشهورين، بدليل ما وقع من الاستثناء في الآية نفسها بقوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية، والمراد بهم شعراء الإسلام كحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة ونحوهما. وأما قول الإمام الشافعي رضي الله عنه:

ولــولا الــشعر بالعلمــاء يــزري لكنـــتُ اليـــومَ أَشْــعرَ مــن لَبيــد

فالجواب عنه أن أهل العصر الأول خصوصًا الإمام الشافعي رضي الله عنه كانوا لا يشتغلون بالشعر لاشتغالهم بما هو أهم منه كالاجتهاد وتقرير الأصول وتدوين الكتب ونحو ذلك، ومن عادة الناس أنهم يقدِّمون الأهم فالأهم، وكانوا يرون أن الاشتغال بالنسبة إلى ما هم فيه انتقاص.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٢٩- ماتَ أهْلُ الفَضْلِ، لَمْ يَبْقَ سِوَي مُقْرِفٌ أوْ مَن علَــى الأصــلِ اتَّكَــلْ

(٢٩)- أي مات أهل الفضل والعلم والشرف، ولم يبقَ بعدهم إلا **مقرف**: أي لاعب رذيل، وإلا الذي يتكل على أصله وشرفه، فمُقرف في كلام الناظم يحتمل أن يكون [مقرق] بقافين بينهما راء مهملة بمعنى لاعب، قال في المصباح: قرق الرجل قرقًا من باب تعب لعب، والاسم القرق على وزن حَمَل. انتهى. ويُحتمل أن يكون بفاءٍ بدل القاف الأخيرة بمعنى رذيل، وهو الأقرب بل هو المعيَّن .

قال الشاعر:

كــم بجــودٍ مُقــرفٌ نــال العُــلا وكــريمٌ بخلُــهُ قــد وضــعه

ذكره في الأشموني، قال في حواشيه: قوله مقرف: أي دنيء الأصل، فقد جرت عادة الله تعالى في خلقه قرنًا بعد قرن وجيلاً بعد جيل أن يموت الأمثل

فالأمثل والأكمل فالأكمل حتى لا يبقى إلا أراذل الناس وأسافلهم.

ومعنى كلام الناظم رحمه الله تعالى أنه تموت الأشرار والأكابر حتى لا يبقى إلا مقرف في معاشرته ومصاحبته ووداده ومخالطته. أو من يعتمد على آبائه وأجداده الماضين بأن يقول: يكفيني بأن أبي الشيخ فلان ابن فلان العناني أو الرفاعي أو البكري أو أنا منسوب إلى الحسن بن عليّ رضي الله تعالى عنهما أو الحسين بن عليّ رضي الله تعالى عنهما، أو إلى الوليّ الفلاني، فيتَّكل على أصوله الماضين، ولم يدرِ أن مَن أبطأ به عمله لم يُسرع به نسبُه ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ [النجم :٣٩- ٤١] وحاصلُه أنه كلَّما قرب الزمان من الساعة انقرض الأخيار ولم يبقَ إلاَّ الأشرار وانقطع النفع من غالب المسلمين. وما أحسن ما قيل:

ذهـبَ الـذين يُعـاش في أكنـافهم ... وبقِـيَ الـذين حيـاتُهم لا تنفـع

ولله درّ الملاّح حيث قال في تخميسه:

قد مضَى الناسُ ففي القلب الجوَى ... وغــدا مَــن كــان للفـضلِ حــوَى

هــل تــرى اليــوم لِـداءٍ مــن دوا ... مــات أهــلُ الفـضلِ، لم يبـقَ سـوَى

مُقرفٌ أو مَن على الأصل اتَّكل

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٣٠- أَنَــا لا أَخْتَــارُ تَقْبِيــلَ يَــدٍ ... قَطْعُهَا أَجْمَــلُ مِــنْ تِلــكَ القُبَــلْ

(٣٠)- أي لا أختار ولا أحبّ تقبيل يَدٍ من شخص موصوف بصفات قبيحة من كفرٍ وفسق وسرقة وغيرها، قطع تلك اليد أجمل وأحسن من تلك القبل بضم القاف وفتح الموحدة جمع قُبلة، قال في المصباح: القُبلة اسمٌ من قبَّلت الولد تقبيلاً والجمع قُبل، مثل غرفة وغرف. انتهى.

فالناظم رحمه الله تعالى اختار عدم تقبيل يد الشخص الموصوف بصفات قبيحة مطلقًا ولو كان له عنده حاجة ولو خاف الضرر منه، وهذا مما يدلّ على توكله على ربه وانقطاعه له تعالى وترك المخلوقات جميعًا رضي الله عنه. وأما أيدي الصُلحاء والعلماء والأمراء العادلين، فيُحتسب تقبيل أيدي العلماء وأهل

الفضل والتماس دعواتهم الصالحة ونحو ذلك، ويُستحب لهم القيام أيضًا؛ لأن النبيّ ﷺ قام لسعد بن معاذ الأنصاري لما رآه مُقبلاً وقال لأصحابه: قوموا لسيدكم، فقاموا له[1]. وأما القيام للظَلَمة ونحوهم وتقبيل أيديهم والتواضع لهم ونحو ذلك فيُفصل فيه، ويقال: إن خاف على نفسه ضررًا أو إتلاف مالٍ ونحوه فلا بأس به، بل قد يجب إذا تحقق ما ذكر وإلا فلا يجوز. وأما ما ارتكبه أمراء زماننا من البلاء الأعظم والداهية الكبرى من تولية اليهود والنصارى أمور المسلمين في قبض أموالهم واحتكارهم أرزاقهم ومعايشهم واحتياج الحال إلى تعظيمهم ومراعاتهم وتقبيل أيديهم والقيام لهم، فينبغي أن يجرى فيه التفصيل المتقدم، هذا ما اختاره النووي تبعًا لغيره من المحققين، وهو اللائق خصوصًا بزماننا هذا، نسأله سبحانه وتعالى التسليم لقضائه وقدره.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٣١- إنْ جَزَتْنِي عَنْ مَدِيحي صِرْتُ في رِقّهـــا، أوْ لاَ فَيَكْفِـــيني الخَجَـــلْ

(٣١)- هذا البيت بيان للسبب الحامل له رحمه الله تعالى على عدم التقبيل، فهو جواب عن سؤال، وفي الأمثال السائرة: تقبيل يدٍ لم تنفع أحقّ أن تقطع، ومعنى البيت: **إن جزتني عن مديحي**: أي إن قضت لي حاجتي التي أنا طالبها، أو أعطتني شيئًا من الدنيا في مقابلة مديحي: أي مدحي لها الذي منه تقبيلي صرت في رقها، أوْ لاَ: أي وإن لم تجزني فضلاً عن طردها فيكفيني الخجل من الناس ومن الله أيضًا، لأني قبَّلت يد ذلك الشخص الفاسق لأجل قضاء حاجتي منه ولم يقضها لي، **والخجل** بفتحتين الحياء، وإنما كان تقبيل اليد مدحًا، لأن المدح هو الثناء على الشخص، ولا فرق فيه بين أن يكون ذِكرًا باللسان، أو عملاً بالأركان، أو محبة بالجنان، ولا شك أن التقبيل عمل الفم. فعُلم من كلام الناظم رحمه الله تعالى أن السؤال قبيح لأن المسؤول إن أعطي السائل صار في رقه، وإن لم يعطه كانت المصيبة أعظم، وهذا مصداق قوله ﷺ: «إذا سألتَ فاسأل الله»[2].

---

(١) روى ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري: أن أهل قريظة لما نزلوا على حُكم سعد أرسل إليه النبي ﷺ فجاء على حمار أقمر فقال النبي ﷺ: «قوموا إلى سيدكم أو إلى خيركم» فجاء حتى قعد إلى رسول الله ﷺ.

(٢) رواه الترمذي وقال حسن صحيح.

قال طاوس لعطاء: إياك أن تطلب حوائجك ممن يغلق بابه دونك، وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة، أمر أن تسأله ووعدك أن يجيبك. وقال الفضيل بن عياض: أحبُّ الناس إلى الناس من استغنى عن الناس، وأبغضُ الناس إلى الناس من احتاج إلى الناس وسألهم، وأحبُّ الناس إلى الله عزّ وجلّ من سأله واستغنى به عن غيره، وأبغضُ الناس إليه تعالى من استغنى عنه وسأل غيره. وقال ابن السماك: إن في طلب الرجل الحاجةَ من أخيه فتنة، إن هو أعطاه حمدَ غيرَ الذي أعطاه، وإن منعه ذمّ غيرَ الذي منعه؛ لأنه لا مُعطي ولا مانع في الحقيقة إلا الله، وكان بعضهم يقع سوطه فلا يسأل أحدًا أن يناوله إياه، لأن السؤال فيه ذلّ وافتقار. وكان بعضهم يقول: من احتجتُ إليه هُنت عليه. وقال غامر بن قيس: قرأت آيات في كتاب الله تعالى فاستغنيت بها عن الناس: قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ [يونس: ١٠٧] فلم أسأل غيره كشف ضرّي، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ [يونس: ١٠٧] فلم أردَّ الفضل والخير إلا منه، وقوله عزّ وجلّ ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦] فلم أطلب الرزق من غيره، فأغناني عن الناس بهذه الآيات.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٣٢- أعْذَبُ الألفاظِ قَوْلي لَكَ خُـذْ وأمَـرُّ اللَّفْـظِ نُطْقـي بلَعَـلْ

(٣٢)- أي أحلى الألفاظ التي أتلفظ بها قولي لك: خذ، وأمرُّ اللفظ الذي أتلفظ به أي أكثره مرارةً نطقي بلعلّ: أي بقولي لعلّ فلانًا يعطيني شيئًا، قال بعضهم: لا شيء أحلى من قولك خذ، خصوصًا إذا كان قصدك وجه الله تعالى، ولا شيء أمَرّ من قول الإنسان لغيره أعطني، خصوصًا إذا كان المسؤول لئيمًا، وإنما كان السؤال مُرًّا لما ينشأ عنه من ذلّ الوجه الذي هو أشرف الأعضاء.

وفي هذا البيت إشارة إلى ما روي عن النبيّ ﷺ أنه قال :«اليد العُليا خير من اليد السُّفلى»[١]. واليد العليا هي المعطية واليد السفلى هي الآخذة .

واعلم أن السؤال مذموم إذا كان لآدميّ، وأما سؤال الله سبحانه وتعالى

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد»، وأبو داود والنسائي والترمذي وقال حسن صحيح.

فينبغي للإنسان أن لا يتركه في أمر من الأمور؛ لأنه سبحانه وتعالى أمرنا به، حيث قال: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢].

قال الحسن البصري: لا يزال الرجل كريمًا على الناس حتى يطمع في دنياهم فإذا فعل ذلك استخفّوا به وكرهوا حديثه وأبغضوه. وقال أعرابي لأهل البصرة: مَن سيدكم ؟ قالوا: الحسن، قال: بم سادكم ؟ قالوا: احتاج الناسُ إلى علمه واستغنى هو عن دنياهم، فقال: ما أحسن هذا. وسأل كعب الأحبار - وهو تابعي - عبدَ الله بن سلام بحضرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما يُذهب العلمُ من قلوب العلماء بعد ما حفظوه وعقلوه، فقال: يُذهبه الطمعُ وطلب الحاجات إلى الناس، فقال: صدقت. وقال أبو الحسن الشاذلي: دخل عليَّ بالمغرب بعض الأكابر فقال: ما أرى لك كبيرَ عملٍ، فبم فقتَ الناس وعظموك؟ فقلت: بخصلة واحدة، وهي الإعراض عنهم وعن دنياهم.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٣٣- مُلْكُ كِسْرَى عَنْهُ تُغْنِي كِسْرَةٌ ... وَعَنِ الْبَحْرِ اجْتِزَاءٌ بِالْوَشَلْ

(٣٣)- أي ملك كسرى الواسع تغني عنه كسرة من الخبز يأكلها الشخص ويكتفي بها ويستغني عن غيرها، [**عن البحر**: أي] يُغني عن البحر الكثير الماء، (**اجتزاء**) بالزاي المعجمة: أي اكتفاء. قال في المصباح: اجتزأت بالشيء اكتفيت به. و(**الوشل**) ما ترشحه الأرض من الماء القليل. فالظمآن يكتفي بشربة منه عن البحر الكبير، و(**كِسرى**) بكسر الكاف: أفصح من فتحها: ملك الفرس، و(**الكسرة**) بكسر الكاف القطعة من الشيء المكسور، ومنه الكسرة من الخبز والجمع كِسر، مثل سدرة وسدر؛ قاله في المصباح. وفي هذا البيت إشارة إلى ما هو مطلوب ومحبوب من الزهد والقناعة وعدم السؤال للغير والرضا بما هو مقسوم من الرزق، فإن المعلوم أن القناعة كنزٌ لا يفنى، ومن قنع استغنى، ومن طمع ذلّ في الدنيا والآخرة.

واعلم أن الزهد هو أصل المحبة فيما بين العبد وربه، وفيما بينه وبين الناس، فقد روي «أن رجلاً قال للنبيّ ﷺ: يا رسول الله دُلَّني على عمل إذا عملته

أحبني الله وأحبني الناس، فقال ﷺ: ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس »[1]. وقد زهد فيها ﷺ وأعرض عنها إلى أن مات عليه أفضل الصلاة والسلام ودرعه مرهون عند يهودي يقال له أبو الشحم، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد مات رسول الله ﷺ ولم يكن في بيتي شيء يأكله ذو كبد مع أنه قد عُرض عليه ﷺ أن تُجعل له بطحاء مكة ذهبًا، فأبى وقال: «لا يا ربّ أجوع يومًا وأشبع يومًا»[2]. ودخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يومًا على رسول الله ﷺ وهو على حصير وقد أثر في جنبيه، فبكى عمرُ رضي الله عنه، فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك؟ فقال: ذكرت كسرى وقيصر عدوّي الله في الخزّ والديباج، وأنت رسول الله وخيرته من خلقه على هذا!! فقال له ﷺ: أفي شكٌّ أنت يا ابن الخطاب، أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟ قال: بلى، قال: فهو كذلك»[3] انتهى.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٣٤- اعْتَبِرْ (نَحْـنُ قَـسَمْنا بَيْـنَهُمْ)   تَلْقَـــهُ حَقًّـــا وبــــالحَقِّ نَـــزَلْ

(٣٤)- أي تأمل وتذكر واتعظ بقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الزخرف: ٣٢] يعني جعل هذا غنيًّا وهذا فقيرًا وهذا مالكًا وهذا مملوكًا، وهذا مسلمًا وهذا كافرًا، وهذا مصطفى بالنبوّة والرسالة إلى غير ذلك. وقوله (تلقه): أي تجده حقًّا: أي موافقًا للواقع، والضمير للمذكور وهو: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ و(بالحق نزل): أي ونزل ملتبسًا بالحقّ: أي بالصدق، فعلمنا من هذه الآية أن القسمة سابقة من الله عزّ وجلّ لا محو فيها ولا تغيير ولا تبديل ولا نقص ولا زيادة، وهو معنى قوله ﷺ: «رُفعت الأقلام وجفّت الصحف»[4]. فما قسَمه الله لمخلوقٍ من رزقٍ وأجلٍ وغيرهما

(١) رواه ابن ماجه عن سهل بن سعد الساعدي.

(٢) رواه الترمذي بلفظ: «أشبع يومًا وأجوع يومًا» عن أبي أمامة وقال حديث حسن.

(٣) رواه الطبراني عن عبد الله بن مسعود.

(٤) رواه الترمذي عن ابن عباس وقال حسن صحيح.

لا بدّ أن يستوفيه كاملاً، لكنه سبحانه وتعالى باينَ بين خلقه في الأرزاق والآجال والفقر والغنى والقبض والبسط والخفض والرفع، ولا يرد ما يقتضيه قوله تعالى: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ الآية [الرعد: ٣٩] من المحو والإثبات؛ لأنه بالنسبة إلى اللوح المحفوظ فقط، وأما ما في الأزل فلا محو فيه ولا إثبات، فلا تناقض بين الآيات والأحاديث.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٣٥- لَيْسَ ما يَحْوِي الفَتَى مِنْ عَزْمِهِ لا وَلا مــا فَــاتَ يَوْمًــا بالْكَـسَلْ

(٣٥)- أي ليس الذي يحويه الفتى ويملكه ويستولي عليه من عزمه واجتهاده، بل هو من تقدير الله له ذلك، وليس الذي فاته يومًا بسبب الكسل وعدم اجتهاده في تحصيله، بل هو من تقدير الله أيضًا، فهذا البيت بيانٌ وإيضاح للبيت الذي قبله، فعُلم من هذا البيت أن ما لم يقسمه الله تعالى لعبده لا يناله بالقوّة والعزم ولو اجتهد غاية الاجتهاد، وأن ما قسمه الله تعالى له لا يفوته ولو تكاسل عنه أو لم يطلبه أصلاً كما قال ﷺ: «إن الرزق لَيطلبُ العبدَ أكثر مما يطلبه أجله»[1] ذكره في الجامع الصغير، ولكن المستحَب للعبد السعي والطلب كما قال تعالى: ﴿ فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾ [الملك: ١٥]. ولله درّ القائل:

مَــن رَام أن يأخــذ الأشــياءَ بقوَّتــه يفوتــه القَــصدُ تَحقيقًــا مَــع التَّعــب
واقْنَــعْ برزقــك إنَّ الــرِّزقَ مُنقَــسمٌ يــأتي إليــكَ مِــن الــرَّازق بالــسَّبب

وقال آخر:

يــا طالــبَ الــرِّزق في الــدنيا بقوَّتــه تــدور مِــن بلــدٍ فيهــا إلى بلــد
أتعبــتَ نفسَك فيمــا لــستَ تُدركــه وضــاعَ عمــرُك في هــمٍّ وفي نكــد

وذكر في الخبر أن مؤمنًا وكافرًا في الزمن الأول انطلقا يصيدان السمك فجعل الكافر يذكر آلهته فيأتي له السمك فيقع في شبكته حتى أخذ سمكًا كثيرًا، وجعل المؤمن يذكر الله تعالى فلا يجيء له شيء ثم أصاب سمكة عند الغروب، فاضطربت فوقعت في الماء، فرجع المؤمن وليس معه شيء، ورجع الكافر وقد

---

(١) رواه السيوطي في الجامع الصغير عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

امتلأت شبكته، فتأسف مَلَكُ المؤمن الموكل به، فلما صعد إلى السماء أراه الله تعالى مسكن المؤمن في الجنة، فقال: واللهِ ما يضرّه ما أصابه بعد أن يصير إلى هذا، وأراه مسكن الكافر في النار، فقال: واللهِ ما يغني عنه ما أصاب من الدنيا بعد أن يصير إلى هذا .

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٣٦- اطْرَحِ الدُّنْيا فَمِنْ عادَاتِها تَخْفِضُ العالِي وَتُعْلِي مَنْ سَفَلْ

(٣٦)- أي اترك الدنيا الخسيسة السفيهة، ولِخسَّتها كانت عادتها أن **تخفض العالي** أي تهينه وتحقره، **وتُعلي**: أي ترفع الذي **سفل** بفتح الفاء وضمها، والمناسب هنا الفتح، قال في «المصباح»: سفَل سفولاً من باب قعد، وسفُل من باب قرُب لغةٌ: صار **أسفل** من غيره فهو سافل. انتهى .

فالناظم رحمه الله تعالى أمر بطرح الدنيا، وعلل ذلك بقوله: **(فمن عاداتها.. إلى** آخره)، وإسناد الخفض والرفع إليها إنما هو على سبيل المجاز من باب إسناد الشيء إلى ظرفه؛ لأن الخافض والرافع في الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى، غاية الأمر أنه سبحانه وتعالى علم أنها دار خسيسة، فرفع فيها السفلة والأخسة، وخفض فيها الأشراف والفضلاء؛ لأنها ليست دارهم، وإنما دارهم الآخرة، ويدلّ على ذلك قوله ﷺ: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناحَ بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء»[1]؛ أي لو كان للدنيا شرفٌ عند الله قدر جناح بعوضة ما أنال الكافر أدنى شيء منها؛ لأن الكافر عدوّ الله فيستحق العذاب في العاجلة والآجلة، ولكن الله سبحانه وتعالى أخَّر عذابه لِيوم لا ريب فيه ولم يحرمه النعمة لخستها وحقارتها. انتهى.

واعلم أن الدنيا دار غرور وامتحان، ولهذا قال ﷺ: «إن الدنيا خضرة حلوة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أوّلَ فتنةِ بني إسرائيل كانت في النساء »[2]. وروي أن أسعد الناس في الدنيا أرغبهم عنها. وهي الغاشة لمن انتصحها، والمغوية لمن أطاعها، والخاسر من انقاد

---

(١) رواه الترمذي عن سهل بن سعد بلفظ: «تعدل». وقال صحيح غريب.

(٢) رواه ابن ماجه عن أبي سعيد رضي الله عنه.

لها، والفائز من أعرض عنها، طوبى لعبدٍ اتقى ربه وقد قدم توبته من قبل أن ينتقل منها إلى الآخرة فيصبح في بطن موحشةٍ مظلمة لا يستطيع أن يزيد في حسنة، ولا ينقص من سيئة، ثم يُنشَر فيُحشر إما إلى جنة يدوم نعيمها، أو نار لا ينفك عذابها. وفي صحف إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام يقول الله عزّ وجلّ: «يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين تزينتِ لهم، إني قد قذفت في قلوبهم بغضك والصدَّ عنك، ما خلقت خلقًا أهون عليّ منك، إني قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومي لأحد ولا يدوم لك أحد».

وقد قيل لزاهد: أي خلقٍ أصغر؟ فقال: الدنيا لأنها لا تعدل عند الله جناح بعوضة، ومِن هوانها عند الله أنه خلقها ولم ينظر إليها، ولا يُعصى إلا فيها، ولا يُنال ما عنده إلا بتركها، وإذا أردت أن تزهدَ فيها فانظر هي عند مَن وفي يد مَن. وقال عليّ كرم الله وجهه: حلالها حساب، وحرامها عقاب، من طلبها فاتته، ومن نظر إليها أعمته، ومن استغنى فيها فُتن، ومن افتقر فيها حزن.

وقال الإمام مالك رضي الله عنه: الدنيا تُخرج حلاوة الإيمان من القلب. وقال حاتم الأصم: الدنيا مثلُ ظلك إن تركته تراجع، وإن طلبته تباعد. وقال بعض الحكماء: أكرموا من له بيتٌ في الأصل، ومن له مروءة، ومن له مكانة في العلم، ولا يغرّنكم سوءُ حالهم وانقلاب الزمان بهم؛ فإن الكاسر يُجبر كما يكسر، ويكسر كما يجبر، وما أعطى الدهر شيئًا بيمينه إلا واستلبه بشماله.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٢٤]. وروي عن النبيّ ﷺ أن رجلاً قدم عليه من أرضٍ فسأله عن أرضهم، فأخبره عن سعة أرضهم وكثرة النعيم فيها، فقال رسول الله ﷺ: كيف تفعلون؟ قال: إنا نتخذ ألوانًا من الطعام ونأكلها، قال: ثم تصير إلى ماذا؟ قال: إلى ما تعلم يا رسول الله؛ يعني تصير بولاً وغائطًا، فقال النبيّ ﷺ: «فكذلك مَثل الدنيا». وروي عن يحيى

ابن معاذ الرازي أنه قال: الدنيا مزرعةٌ لربّ العالمين، والناس فيها زرعُه، ومَلَكُ الموت منجله، والمقبرة مِدراسُه، والقيامة تذريته، والجنة بيت أحبابه، والنار بيت أعدائه، ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

وروي عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه: يا بنيّ إن الدنيا بحر عميق، وقد غرق فيها ناس كثير، فاجعل سفينتك فيها تقوى الله، والأعمالَ الصالحة بضاعتك التي تحمل فيها، والحرصَ عليها ربحك، والأيامَ موجها، وكتابَ الله دليلها، ورَدَّ النفس عن الهوى حبالها، والموتَ ساحلها، والقيامة أرض المتجر التي تخرج إليها، والله مالكها. انتهى. ومما ورد من النظم في ذمّ الدنيا قول القائل:

إنما الدُّنيا غرورٌ ومِحْنَةٌ | فالسفيه الجهول مَن يصطفيها
ما مضَى فاتَ والمؤمَّل غَيبٌ | ولكَ السَّاعةُ التي أنتَ فيها

ولله درُّ الملاّح حيث قال في تخميسه:

إنَّما الأيامُ في حَالاتها | طبعُها جَلْبُ الأذى في ذاتها
تتبع التنغِيص في لَذاتها | (اطْرحِ الدُّنيا فمِن عاداتها
تُخْفِض العَالي وتُعلي مَن سَفَلْ)

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٣٧- عِيشَةُ الزاهد في تَحْصِيلِها | عِيشَةُ الجَاهِد، بَلْ هَذَا أَذَلْ

(٣٧)- أي عيشة الشخص الزاهد في الدنيا وفي تحصيلها وجمعِها كعيشة الشخص الجاهد بالدال المهملة: أي المجتهد المنهمك على الدنيا وجمعها، في أن كلاًّ منهما لا يأكل ولا يلبس إلا ما كتب الله له في أزله، ثم أضرب الناظم عن التساوي بينهما، فقال: بل هذا: أي الشخص الجاهد أذلّ عند الله وعند الناس من الزاهد فيها، لما يترتب على جمعها من التذلل لأهلها والتواضع لهم. وذكر عن يحيى بن معاذ أنه قال: في اكتساب الدنيا ذلّ النفوس، وفي اكتساب الآخرة عزّ النفوس، فيا عجبًا لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى ويترك العزّ الذي يبقى.

وقال في «تنبيه الغافلين»: رُوي عن النبيّ ﷺ أنه قال: «أنا زعيمٌ لثلاثةٍ بثلاثة: للمُكِبِّ على الدنيا، والحريص عليها، والشحيح بها بفقرٍ لا غنى، وشغلٍ لا

فراغ، وهمٌّ لا فرح». ورُوي عن أبي عثمان النهدي رضي الله عنه أنه قال: رأيت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه قميصًا فيه اثنتا عشرة رقعة وهو على المنبر يخطب. ورُوي عن أبي ذرّ أنه قال: إني لأَعْرِفُ بالناس من البيطار بالدوابّ، فأما خيارهم فالزاهدون في الدنيا. وأما شرارهم فمن أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه. وروَى حميد الطويل عن معروف العجلي قال: «قرأ النبيّ ﷺ: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾ » [التكاثر:١-٢] فقال: يقول ابن آدم مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقتَ فأبقيت ؟». وروَى عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله تعالى عنهما أن النبيّ ﷺ قال لها: «يا عائشة إن أردتِ اللحوق بي فيكفيك من الدنيا كزاد الراكب وإياك ومجالسة الأغنياء، ولا تستخلفي ثوبًا حتى ترقعيه ». ورُوي عن الحسن أنه قال: ما أنصفْنا إخوانَنا الأغنياء؛ لأنهم يأكلون ونحن نأكل، ويشربون ونحن نشرب، ويلبسون ونحن نلبس، ولهم فضول أموالهم ينظرون إليها ونحن ننظر إليها معهم، وهم يحاسَبون عليها ونحن منها برآء. ورُوي عن شقيق الزاهد أنه قال: اختار الفقراء ثلاثة أشياء، واختار الأغنياء ثلاثة أشياء، اختار الفقراءُ: راحةَ النفس، وفراغ القلب، وخفة الحساب، واختار الأغنياء: تعب النفس، وشغل القلب، وشدّة الحساب.

ورُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ أنه قال: «لكل أُمَّة فتنةٌ وإن فتنة أمتي المال»[1]. وعن النبيّ ﷺ أنه قال: «عُرضتْ عليّ بطحاء مكة ذهبًا، فقلت: يا ربّ أشبع يومًا وأجوع يومًا، فأحمدك إذا شبعت، وأتضرّع إليك إذا جعت»[2].انتهى.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٣٨- كَمْ جَهُولٍ وَهُوَ مُثْـرٍ مُكْثِـرٌ   وَعَلِـيمٍ مَـاتَ مِنْهـا بِالْعِلَـلْ

(٣٨)- هذا البيت والذي بعده من تعلقات قوله (فمن عاداتها * تخفض العالي وتعلي من سفل) أي كم رأيت شخصًا جهولاً: أي متصفًا بالجهل وعدم

(١) رواه الترمذي عن عن كعب بن عياض وقال حسن صحيح غريب.

(٢) رواه الترمذي بلفظ «عرَض عليَّ ربي» عن أبي أمامة، وقال حديث حسن.

العلم، وهو **(مثر)** بضم الميم وسكون المثلثة: أي كثير المال، فقوله مكثر عطفُ تفسير قال في المصباح: **الثروة**: كثرة المال، وأثرى إثراء: استغنى، والاسم منه الثراء بالفتح والمد، وقوله **(وعليم)** بالجر معطوف على جهول: أي وكم رأينا شخصًا عليمًا: أي متصفًا بكثرة العلم مات من أجل هذه الدنيا بالعلل لضيق العيش عليه، و**(العلل)** جمع عِلَّة. قال في المصباح: العلة المرض الشاغل، والجمع علل مثل سِدرة وسدَر. انتهى. ولله درّ القائل:

عتبتُ على الدنيا لِرِفْعَةِ جاهلٍ ... وتأخيرِ ذِي فَضْلٍ فقالت خُذِ العُذرا

بنو الجَهْلِ أبنائي لِهَذا رَفعتُهم ... وأهلُ التُّقَى أبناء ضُرَّتي الأُخرَى

ولله درّ سيدي عبد الرحمن الملاح حيث قال في تخميسه:

سَائرُ الأقْوَال عنها تقصرُ ... ولَكَمْ قد حَار فيها مَعْشرُ

حِكمةٌ قد حيَّرتْ مَن يُبصر ... (كَمْ جَهولٍ وهو مُثرٍ مكثرُ

وعليم ماتَ منها بالعِلَلْ)

ولله درّ إمامنا الشافعي رضي الله عنه حيث قال:

مِحَنُ الزَّمانِ كثيرةٌ لا تنقضِي ... وسُروره يأتيك كالأعيادِ

ملَكَ الأكابرَ فاسْترقَّ رِقابَهم ... وتَراه رَقًّا في يَدِ الأوْغَادِ

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٣٩- كَمْ شُجاعٍ لَمْ يَنَلْ مِنْها المُنَى ... وَجبَانٍ نالَ غاياتِ الأمَلْ

(٣٩)- أي كم رأينا شخصًا **شجاعًا**: أي قويّ القلب **(لم ينل)**: أي لم يبلغ منها **(المنى)** بضم الميم جمع منية كمدية ومدى، والمنية: ما تمناه الإنسان. وكم رأينا شخصًا جبانًا: أي ضعيف القلب (نال): أي بلغ **(غايات)** الأمل جمع غاية، وهي آخر الشيء، وأكثر ما يستعمل **الأمل** فيما يستبعد حصوله.

قال كعب بن زهير رضي الله عنه :

أرجو وآمُلُ أن تدنو مودتُها ... وما إخال لدينا منكِ تنويلُ

بخلاف الطمع فإنه لا يكون إلا فيما قرُب حصوله، فإن عزمت على سفر إلى بلد بعيد تقول أملتُ الوصول، ولا تقول طمعت إلا إن قرب منها، وأما

الرجاء فهو بين الأمل والطمع؛ لأن الراجي قد يخاف أن لا يحصل مأموله فإن قوي الخوف استعمل بمعنى الأمل، وعليه بيت كعب بن زهير رضي الله عنه، وإلا استعمل بمعنى الطمع، هكذا يستفاد من المصباح.

• **فائدة:** الشجاع هو الذي لا يهاب القتال إذا التقى الجمعان، قال في المصباح: شجُعَ بالضم شجاعة: قوي قلبه واستهان بالحروب فهو شجيع وشجاع، وبنو عقيل تفتح الشين حَمْلاً على نقيضه وهو جبان، وبعضهم يكسرها للتخفيف ويجمع الشجاع على شِجعة مثل غلام وغلمة، وعلى شجعاء مثل شريف وشرفاء، والجبان بفتح الجيم هو ضعيف القلب الذي لا يصبر على القتال، بل يولي هاربًا. وأوصى النبيّ ﷺ بالشجاعة واستعاذ من الجبن. ورُوي أنه ﷺ قال في دعائه: «اللهمّ إني أعوذ بك من الجبن والبخل»[1]. اهـ. وممن عُرف بالشجاعة العُظمى رسول الله ﷺ؛ قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «لقد فزع أهل المدينة ليلةً، فانطلق الناس قِبل الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعًا قد سبقهم إلى الصوت وعرف الخبر على فرس لأبي طلحة والسيف في عنقه وهو يقول: لن تُراعوا لن تُراعوا»[2]. ومن الشجعان أيضًا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فإنه يوم مات رسول الله ﷺ قوِيَ قلبُه بخلاف غيره، فإن عمر رضي الله عنه كذّب بموته، وأما عثمان رضي الله عنه فجعل لا يكلم أحدًا، وأما عليّ رضي الله عنه فقعد في بيته ولم يبرح منه، فدخل أبو بكر رضي الله عنه وهو ثابت العقل مصيب في القول، فأكبّ عليه ﷺ وكشف عن وجهه الكريم وقبَّل جبينه وبكى، ثم خرج والناس قد تاهت عقولهم، فصعد المنبر وقال من جملة خطبته: «مَن كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومَن كان يعبد اللهَ فإن الله حي لا يموت، ثم تلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. قال عمر: فواللهِ لكأني لم أسمع بها قط في كتاب الله.

ومن الشجعان أيضًا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكان موصوفًا بالشدّة

---

(١) رواه النسائي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن ماجه، والبخاري في «الأدب المفرد».

والشجاعة، وكان يضع يده اليمنى على أذنه اليسرى ثم يثب على فرسه، ومن الشجعان عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه، فكان شجاعًا بطلاً، ذكر عنه «أنه قتل ليلة الهرير من حرب صفين خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلاً» وكان إذا ضرب لا يثني.

ومن الشجعان أيضًا الزبير بن العوام رضي الله عنه ، قالوا: لم يكن في عصر النبيّ ﷺ فارس أشجع من الزبير، ولا راجلٌ أشجع من عليّ. انتهى.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٤٠- فـاتْرُكِ الحِيلَـةَ فيهـا واتَّئِـدْ إنَّمَـا الحِيلَـةُ في تَـرْكِ الحِيَـلْ

(٤٠)- أي فإذا علمت أن الأمور كلها من إعطاء ومنع ونفع وضرّ وعزّ وذلّ وغير ذلك بيد الله سبحانه وتعالى قدَّرها في سابق أزله، فاترك الحيلة في الدنيا، **(واتئد)**: أي ترفق في طلبها ولا تعجل فيه. قال في المصباح: اتأد في مشيه اتئادًا: ترفق ولم يعجل فيه. انتهى. وإنما كانت الحيلة في ترك الحيل؛ لأن الخير والشرّ والرزق وغير ذلك قد ثبتَ في الأزل وصار لا يقبل التغيير ولا التبديل، فالحيلة في جلب الخير أو في دفع الشرّ لا فائدة فيها؛ لأن الذي سبق من خير أو شرّ واقع لا محالة، فالتسليم وترك الحيلة أولى؛ قال الله تعالى: ﴿ **مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ** ﴾. وقال ﷺ: «إن روح القدس - وهو جبريل - نفث في رُوعي - بضم الراء المهملة: أي قلبي- لن تموت نفسٌ حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجمِلوا في الطلب »[1]. وقال ﷺ: «اللهمّ لا مانع لما أعطيتَ، ولا مُعطي لما منعت »[2].

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٤١- أيُّ كَفٍّ لَمْ تُفِـدْ مِمَّـا تُفَـدْ فَرَماهَـا اللهُ مِنْـهُ بالـشَّلَلْ

(٤١)- أي: أيُّ كفٍّ كانت لم (**تفد**) بضم المثناة الفوقية وكسر الفاء: أي لم تُعط مما تفد بضم أوّله وفتح ثانيه: أي من الشيء الذي أفاده الله لها: أي أعطاه، وقوله **(فرماها الله)** أي أصابها منه: أي من عنده **(بالشلل)**: أي بفساد عروقها وبطلان

---

(١) رواه السيوطي في الصغير عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه والنسائي والترمذي وقال حسن صحيح.

حركاتها، هذا هو الشلل، ولما كانت الكفّ يصحّ تذكيرها وتأنيثها أنثها أوّلاً فقال: أيّ كفٍّ لم تفد مما تفد وذكّرها ثانيًا بقوله (فرماه الله)، وفي نسخةٍ: **فرماها الله** وهي الأَوْلى. قال في المصباح: الكفّ من الإنسان وغيره أنثى. قال ابن الأنباري: وزعم من لا يوثق به أن الكفَّ مذكر، وأما قولهم كفّ مخضب فعلى معنى ساعد مخضب وجمعها كفوف وأكفّ، مثل فلس وفلوس وأفلس. قال الأزهري: الكفّ الراحة من الأصابع سميت بذلك لأنها تكفّ الأذى عن البدن. انتهى. وفي هذا البيت الدعاء على الشخص البخيل بشلل يده؛ لأن الله تعالى نهى عن البخل بقوله: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ [الإسراء:٢٩] وأمر بالإحسان بقوله: ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [القصص:٧٧]. ويشبه هذا في المعنى ما وعد الله به مانعي الزكاة بقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران: ١٨٠] وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة:٣٤-٣٥]. قال بعض أهل المعاني: إنما خصّ هذه الأعضاء دون غيرها بالذكر؛ لأن السائل إذا سأل البخيل لوى عنه وجهه، فإن ألحّ عليه ازورّ عنه بشقّ جنبه الذي يليه، فإذا ألحّ عليه ولاّه ظهره .

والشحّ أن تكون النفس حريصةً على المنع، والبخل هو نفسُ المنع، وقال بعضهم: لو لم يكن في البخلاء إلا سوء الظنّ بربهم في الخلف لكان عظيمًا، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ ٣٩] . وكان أبو حنيفة رحمه الله تعالى لا يرى قبول شهادة البخيل ويقول: بخله يحمله على أن يأخذ فوق حقه مخافة أن يُغبن، فمَن هذه حالته لا يكون مأمونًا، وقال بشر الحافي: لا غيبة لبخيل، ولَشرطيٌّ سخيّ أحبّ إلى الله من عابدٍ بخيل، وقالوا: البخيل يملأ بطنه والجارُ جائع، ويحفظ ماله والعِرض ضائع .

وقال الحسن البصري: لم أرَ أشقى بماله من البخيل؛ لأنه في الدنيا مهتم بجمعه، وفي الآخرة محاسَب على منعه، غير آمن في الدنيا مِن همه، ولا ناج من

إثمه، عيشُه في الدنيا عيش الفقراء، وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء، وكان محمد بن يحي بن خالد بخيلاً بالنسبة إلى أبيه وأخويه جعفر والفضل، فسُئل محمد ابن علي عن مائدته، فقال: صحافها منقورة من خشب الخشخاش وبين الرغيف والرغيف ضربة أكرة، وبين اللون واللون فترة نبيّ، قيل ومن يحضرها؟ قال: خير خلق الله وشرّهم، قال: مَن هم؟ قال الملائكة والذباب، قيل أنت خاص به وثوبك مخرّق، فقال: واللهِ لو ملكَ بيتًا من بغداد إلى النوبة مملوء، ثم جاءه يعقوب النبي ومعه الملائكة شفعاء والأنبياء وكفلاء يسألونه إعارة إبرة يخيط بها قميص يوسف الذي قُدّ من دبر ما فعل .

ومن نوادر القطّان [وهو من مشاهير البخلاء] أنه جلس يأكل هو وزوجته طعامًا، فقال لها: اكشفي رأسك، ففعلت، وقرأ هو سورة الإخلاص، فسألته زوجته عن ذلك فقال: المرأة إذا كشفت رأسها هربت الملائكة، وإذا قرئت سورة الإخلاص هربت الشياطين، وأنا أكره الزحمة على المائدة.

وقال الحسن بن عليّ رضي الله عنه: البخل جامعُ المساوي والعيوب، وقاطع المودَّات من القلوب، نسأله سبحانه وتعالى التوفيق لما يحبّ ويرضى .

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٤٢- لا تَقُلْ أصْلِي وَفَصْلِي أَبَدًا إنَمَا أصْلُ الفَتَى مـا قَـدْ حَـصَلْ

(٤٢)- أي لا تقل يكفيني شرف (أصلي): أي والدي، و(فصلي): أي ولدي: أي لا تتكل على ما حصل لوالدك أو ولدك من الفضل والشرف؛ لأنهما لا يغنيان عنك من الله شيئًا، بل حصِّل أنت شيئًا ينفعك عند الله سبحانه وتعالى من الأعمال الصالحة، فعليك بخاصة نفسك؛ قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ [النبأ :٤٠]، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [النحل :١١١]، وقال ﷺ: «مَن أبطأ به عمله لم يُسرع به نسبُه»[١]. أي من قصر به عمله السَّيء لم ينفعه شرف نسبه ولم ينجبر نقصه به، فلا يُلحقه نسبه برتب أصحاب الأعمال الكاملة؛ لأن

(١) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي.

المسارعة إلى السعادة إنما هي بالأعمال لا بالأنساب لقوله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

فإن قلتَ: قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ [الطور: ٢١] يدلّ على أن شرف النسب ينفع فإن المفسرين فسروه بأن ذريات المؤمنين صغارًا كانوا أو كبارًا يلحقون بآبائهم في المراتب من غير أن ينقص من مراتب الآباء شيء، وفي الحديث: «إن الله يرفع ذرّية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه لِتقرَّ بهم عينُه»[1]. انتهى. ويؤخذ منه أن الأب إذا كان دون ولده في الدرجة أنه يرفع في درجة ولده للعلة المذكورة، فما وجه التوفيق بين هذا وبين حديث «مَن أبطأ به عمله لم يُسرع به نسبه»؟ فالجواب أن المذكور في الآية وحديث «إن الله يرفع ذرّية المؤمن يكون في الجنة» والحديث المذكور وهو «مَن أبطأ به عمله» محمولٌ على الصراط، وفي لفظ الإبطاء والإسراع إشارة لذلك. انتهى.

وقال في «غرر الخصائص الواضحة»[2] ما نصه: الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية. وقالوا: شرف الإنسان بفضله لا بأصله، وجلالته بأدبه لا بنسبه، فافتخِر بالعلوم العالية لا بالعظام البالية. وقالوا: من فاته حسبُ نفسه لم ينفعه حسبُ أبيه.

وقالوا: الشرف بالفضل والأدب، لا بالأصل والنسب.

وما أحسن ما قال بعضهم:

كُنْ ابن مَنْ شِئتَ واكتسبْ أدبًا ... يُغنيك مَحْمُودُه عَنِ النَّسب

إنّ الفتَى مَن يقول هَا أنا ذا ... ليسَ الفتَى مَن يقول كان أبي

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٤٣- قَدْ يَسُودُ المَرْءُ مِنْ غَيْرِ أبٍ ... وَبِحُسْنِ السَّبْكِ قَدْ يُنْفَى الزغَلْ

(٤٣)- أي قد يشرف المرء (من غير أب): أي من غير شرف أب، **وبحسن السبك قد ينفى الزغل**، قال في المصباح: سبكت الذهب سبكًا: من باب قتل أذبته وخلصته من زغله، والسبيكة: القطعة المستطيلة والجمع سبائك انتهى، وقد أورد الناظم رحمه الله تعالى في هذا البيت والبيت الذي بعده أمثلة قياسية يتمم

---

(١) السلسة الصحيحة ٥/ ٦٤٧.

(٢) عنوان كتاب للوطواط.

بها الحجة على ما ادَّعاه من أن السيادة والشرف قد يحصلان للإنسان دون آبائه وأجداده كرامةً من الله تعالى كما هو مشاهد ومعلوم بالضرورة، فإنا نشاهد أشخاصًا كثيرين خصَّهم الله تعالى بالعلم والسيادة ومكارم الأخلاق، ولم يخصّ بها أحدًا من آبائهم وأجدادهم، ونشاهد أيضًا أن الفضة المغشوشة إذا صُليت بالنار صَفت من الغشّ وخلصت من الزغل فقد سادت على أصلها .

• قال الناظم نفعنا الله به آمين:

٤٤- وكَذَا الوَرْدُ مِنَ الشَّوْكِ، وَمَــا ينْبُــتُ النَّــرْجِسُ إلاَّ مِــن بــصلْ

(٤٤)- أي: ومن الأمثلة الورد المعلوم، فإنه مع حُسن نضارته وحُمرة لونه وسلطنته على الأزهار يطلع من الشوك المؤذي طبعًا، فمن المعلوم ضرورةً أنه قد ساد على أصله.

وروى ابن القيم في تاريخه بسنده إلى علي بن عبد الله الهاشمي قال: دخلتُ الهند فرأيت في بعض قراها وردةً كبيرة طيبة الرائحة سوداء مكتوبا عليها بخط أبيض: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الفاروق، فشككت في ذلك وقلت: إنه معمول، فعمدت إلى وردة لم تفتح ففتحتها فكان فيها مثل ذلك. وقوله (**يطلعُ**) هو بضم اللام من باب قعد كما في المصباح.

ومنها أيضًا **النرجس** وهو بكسر النون والجيم على المشهور المختار، ويجوز فتحها مع كسر الجيم أيضًا كما في المصباح، وهو زهر ذكيّ الرائحة، ومع ذكاء رائحته وصفاء لونه ونضارته يطلع من **البصل**، وهو خبيث طعمًا ورائحةً، فمعلوم ضرورة أيضًا أنه سادَ عن غير أصل. وقال بقراط: كل شيء يغزو الجسم والنرجس يغزو العقل. وقال الحسن بن سهل: من أدمن شمّ النرجس في الشتاء أمن من البرسام في الصيف. وقال بعض ظرفاء الأدباء: [هو] نزهة الطرف وظرف الظرف وغذاء الروح ومادّة الروح.

وقال كسرى: إني لأستحي أن أباضع: (أي أجامع) في مجلسٍ فيه النرجس؛ لأنه أشبهُ شيء بالعيون الناظرة.

• **فائدة:** بقى من الأمثلة التي ساد فيها الشيء على أصله شيئان لم يذكرهما الناظم: **أحدهما**: العسل فإنه مع صفاء لونه وحلاوة طعمه وشفاء الناس به

يخرج من ذباب النحل، فمعلومٌ أنه ساد عن غير أصل. ثانيهما: الحرير بجميع أنواعه من إبريسم وديباج وغير ذلك، فإنه مع نعومته وغلوٍّ ثمنه ومنافعه العامة التي لم توجد في غيره يخرج من دودة ضعيفة رقيقة الجسم جدًّا، فمعلوم أنه ساد عن غير أصل؛ قال الملاح في تخميسه:

إن تكـنْ مِمَّـنْ بأصْـل كرمـا   فمِـنَ النَّحْـلِ شِـفَاءٌ عُلمـا
ومِـنَ الـدُّودِ حَريـرٌ أُحكمـا   (وكَـذا الـوَرد مِـن الـشَّوك ومـا
يَطلع النَّرجسُ إلاَّ مِـن بَـصل)

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٤٥- مـعَ أنّـي أحْمَـدُ الله عَلَـى   نَـسَبِي إذْ بـأبِي بَكْـرٍ اتَّـصَلْ

(٤٥)- أي لا تتوهم أيها السَّامع أن قولي لك لا تقل أصلي ناشئ من عدم اتصال نسبي بأصل شريف، بل هو من النصيحة المأمور بها، وإلا فأنا أحمد الله سبحانه وتعالى، فإن نسبي متصل بأفضل الأولين والآخرين بعد النبيين والمرسلين وهو أبو بكر رضي الله عنه، وتحدثت بذلك امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ١١]، وإنما حمدت الله تعالى على المنعم به: أي في مقابلته لا مطلقًا؛ لأن الأول واجب، والثاني مندوب. واتصالُ نسبه رضي الله عنه بأبي بكر رضي الله عنه صحيح لا خلاف فيه، وأما أبو بكر رضي الله عنه فهو الإمام الأفضل والخليفة الأكمل عبد الله بن عثمان المكنى بأبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة، يلتقي مع النبيّ ﷺ في مرّة ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وأمه أُمّ الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب التيمي، أسلم هو وأبوه وأمه، وفي أولاده وأولادهم من عُدّ من الصحابة، منهم عبد الله بن الزبير أمه أسماء بنت أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، ولُقّب بالصدّيق لأنه أوّل رجل آمن برسول الله ﷺ وصدّق به، ولُقب بعتيق أيضًا لعتقه من النار، وهو صاحب رسول الله ﷺ بنص القرآن، فمن أنكر صحبته كفر، بخلاف غيره من بقية

الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وقد شبهه النبيّ ﷺ بميكائيل في الرأفة والرحمة، وبإبراهيم الخليل في الوقار والعفو.

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «ما طلعت الشمسُ ولا غربت على أحدٍ بعد النبيين والمرسَلين أفضل من أبي بكر»[1].

وأخرج ابن أبي حاتم عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال: «لما نزلت: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٦٦]؛ قال أبو بكر: يا رسول الله لو أمرتني أن أقتل نفسي لفعلت، قال: صدقت».

وقال عمر بن الخطاب: لو وُزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم، وقال: وددت أني شعرة في صدر أبي بكر.

وقال علي رضي الله عنه: خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق وعمر، لا يجتمع حبي وبغضُ أبي بكر وعمر في قلب مؤمن.

وقال علي أيضًا: لا يُفضّلني أحدٌ على أبي بكر إلا جلدته جلد المفتري.

وقال أبو بكر بن عياش: سألني الرشيد وقال: يا أبا بكر كيف استخلف الناس أبا بكر الصديق؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، سكت الله وسكت المؤمنون، فقال: واللهِ ما زدتني إلا عمًى، فقلت: يا أمير المؤمنين، مرض النبي ﷺ ثمانية أيام، فدخل بلال عليه فقال: يا رسول الله، من يصلي بالناس؟ قال: مُرْ أبا بكر يصلِّ بالناس، فصلى أبو بكر بالناس ثمانية أيام والوحي ينزل، فسكت رسولُ الله ﷺ لسكوت الله، وسكت المؤمنون لسكوت رسول الله ﷺ، فأعجبته فقال: بارك الله فيك.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما قُبض رسول الله ﷺ ارتجت مكة، فسمع أبو قحافة ذلك فقال: ما هذا ؟ قالوا قُبض رسول الله ﷺ، قال أمرٌ جلل، فمن قام بالإمامة بعده؟ قالوا ابنك، فقال: هل رضيتْ بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة؟ قالوا نعم، قال: اللهمّ لا واضع لما رفعت، ولا رافع لما وضعت، وقال مصعب بن الزبير: كانت لأبي بكر في الإسلام المواقف الرفيعة: منها قصة ليلة

---

(١) روى السيوطي في الصغير عن أنس رضي الله عنه ما نصه: «ما صحب النبيين والمرسلين أجمعين ولا صاحب ياسين أفضل من أبي بكر».

الإسراء وثباته وجوابه للكفار في ذلك، وهجرته مع رسول الله ﷺ وترك عياله وأطفاله وملازمته له في الغار، ثم كلامه يوم بدر ويوم الحديبية حين اشتبه على غيره الأمر في تأخره عن دخول مكة، ثم بكاؤه حين قال رسول الله ﷺ «إن عبدًا خيَّره الله بين الدنيا والآخرة..» ثم ثباته في وفاة رسول ﷺ وخطبته الناس وتسكيتهم، ثم قيامه في قضية البيعة بمصلحة المسلمين، ثم اهتمامه وثباته في بعث جيش أسامة بن زيد إلى الشام، ثم قيامه في قتال أهل الردّة، وكم للصدّيق رضي الله عنه من مواقف ومآثر ومناقب وفضائل لا تُحصى.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رجلاً قال لها: صفي لنا أبا بكر، فقالت: رجل أبيض نحيف، خفيف العارضين.

وعن عائشة أيضًا قالت: كان أول بدء مرض أبي بكر أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يومًا باردًا، فحُمَّ خمسة عشر يومًا لا يخرج إلى صلاة، وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة [١٣هـ] وله ثلاث وستون [٦٣] سنة، مثل عُمْرِ النبي ﷺ.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: تمثلت بهذا البيت وأبو بكر في النزع:

وأبـيض يُستـسقى الغمـامُ بوجهـه ثِمـالُ اليتـامى عِـصمةٌ للأرامـل

فقال أبو بكر: ذلك رسول الله ﷺ.

وكُفِّن رضي الله عنه في ثوبين قديمين بأمره رضي الله عنه وقال: إن الحيّ أحوج إلى الجديد من الميت، وأوصى أن تغسله أسماء بنت عميس، ويعينها عبد الرحمن بن أبي بكر، ونزل في حفرته عمر وطلحة وعثمان وعبد الرحمن بن أبي بكر، ودُفن ليلاً بجنب رسول الله ﷺ، وجُعل رأسه عند كتفيه ﷺ، ومات والده أبو قحافه بعده بستة أشهر وأيام في المحرّم سنة أربع عشرة وهو ابن تسع وتسعين سنة، رضي الله تعالى عن هذا الولد ووالده، ونفعنا ببركة هذا البيت في الدارين. آمين.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٤٦- قِيمَةُ الإنْـسانِ مـا يُحْـسِنُهُ أكثَـرَ الإنْـسانُ مِنْـهُ أو أقَـلّ

(٤٦)- هذا البيت مأخوذ من كلام الإمام عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه: «لكل شيء قيمةٌ، وقيمةُ المرء ما يُحسنه». انتهى.

والقيمة كما في المصباح: الثمن الذي يقاوم المتاع: أي يقوم مقامه، والجمع قيم مثل سدرة وسدر. انتهى، ولكن المراد من النظم أن رفعة الإنسان وشرفه على قدر ما يحسنه: أي يعرفه ويتقنه من العلوم والصنائع إن قليلاً فقليل، وإن كثيرًا فكثير، كما قال الناظم: (أكثر الإنسان منه أو أقل) وأظهر في الإضمار لضرورة النظم، ودلّ قوله تعالى: ﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة:٤] على أن للكلب المعلَّم فضيلة على غيره من سائر الكلاب، فالإنسان إذا كان له علم فأولى أن يكون له فضلٌ على غيره، وما أحسن ما قيل:

فافخرْ بعلمٍ ولا تجهل به أبدًا ... فالناسُ مَوتَى وأهلُ العِلم أحياءُ
وقيمةُ المَرء ما قد كان يُحسنه ... والجاهلون لأهلِ العِلم أعداءُ

وهذا بالنظر للحوادث، وأما بالنظر للمولى سبحانه وتعالى، فإن رفعة كل إنسان عنده على قدر الأعمال الصالحات كما قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الزخرف:٧٢].

فإن قيل: قد ورد أنه ﷺ قال: «لن يدخل الجنة أحدٌ منكم بعمله، قيل: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل »(١).

فالجواب عنه أن نفس الدخول لا يكون بالأعمال وإنما هو بفضل الله ورحمته، وأما غير الدخول كالغرف والقصور والحور والولدان وغير ذلك مما أعدّه الله تعالى لعباده المؤمنين في الجنة، فهو على قدر الأعمال الصالحات أكثرَ الإنسان منها أو أقل.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٤٧- أُكْتُمِ الأمْرَيْنِ فَقْرًا وَغِنًى ... وَاكْسِبِ الفَلْسَ وحَاسِبْ مَنْ بَطَلْ

(٤٧)- **(أكتم)** بضم الهمزة والمثناة الفوقية: فعل أمر وحرّك بالكسر لالتقاء الساكنين و**(الأمرين)**: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه مثنى، و**(فقرًا وغنى)**: بدل من الأمرين، **(واكسب)** بكسر السين المهملة: أي اكتسب، **(الفلس)** بفتح الفاء وسكون اللام واربحه ولا تستقله، **(وحاسب من بطل)**: أي الذي بطل

(١) سبق تخريجه.

أي شجع، ولا تُفِت له مالَكَ خوفًا منه [1].

قال في «المصباح»: رجل بطل: أي شجاع، والجمع أبطال مثل سبب وأسباب. انتهى.

فيستحبّ للفقير أن يكتم فقره عن الناس، بمعنى أنه لا يظهر الفقر والمسكنة على جهة التضجر؛ فإن الفقر شعار عباد الله الصالحين.

ورُوي أن الملائكة تقول: يا ربّ عبدك الكافر تبسط له الدنيا وتزوي عنه البلاء، فيقول الله للملائكة: اكشفوا لهم عن عقابه، فإذا رأوه قالوا يا ربّ لا ينفعه ما أصابه من الدنيا، ويقولون يا ربّ عبدك المؤمن تزوي عنه الدنيا وتعرِّضه للبلاء ؟ فيقول الله للملائكة: اكشفوا لهم عن ثوابه، فإذا رأوا ثوابه قالوا: يا ربّ لا يضرّه ما أصابه من البلاء.

ورُوي عن سفيان الثوري أنه قال: نعمتان إن رَزقهما الله تعالى لك فاحمدِ اللهَ تعالى عليهما واشكره: اجتنابك باب السلطان، واجتنابك باب الطبيب. انتهى.

وفي قول الناظم رحمه الله تعالى: (**واكسب الفلس وحاسب من بطل**) إشارة إلى ما في المسألة من الخلاف بين العلماء وهو: هل الاكتساب أفضل أو التوكل أفضل؟ ذهبت جماعة إلى أن الاكتساب أفضل، وإليه يشير كلام الناظم رحمه الله تعالى، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٣] بأن معنى التوكل اعتقاد ما دلت عليه هذه الآية: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦] وليس المراد به ترك السبب مع الاعتماد على ما يأتي من المخلوقين؛ لأن ذلك يجرّ إلى ضدّ ما يراد من التوكل، وعن الحديث المذكور بأنه ﷺ ذكر الغدُوَّ والرواح في طلب الرزق فقال: «تغدو خماصًا وتروح بطانًا» [2]، ولا شك أنهما سببان في الرزق، فطريقة أهل البصائر السعي والطلب

---

(١) ليس هذا مراد الناظم، بل مراده: اكسب القليل وحاسب من بطل، من البطالة وهي الكسل وترك العمل: أي أن كسبك القليل عاملاً خيرٌ من عطلك عن العمل، فإنه ليس فيه قليل ولا كثير. والله أعلم. اهـ مصححه.

(٢) صححه الألباني في تخريجه لكتاب «مشكلة الفقر»، حديث رقم ٢٣.

مع الإجمال فيه والتوكل على الله تعالى؛ لأن بالهزّ سقط الثمر، كما قيل:

أَلَمْ تَرَ أن اللهَ أَوْحَى لِمَرْيم وهُزّي إليك الجذعَ يُساقط الرطبُ

ولو شاء أدْنى الجذعَ مَن غير هزّه إليها ولكنْ كلّ شيء له سببُ

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أن زكريا عليه السلام كان نجارًا[1]. وعن عمر رضي الله عنه قال: يا معشر الفقراء ارفعوا رءوسكم واتَّجِروا، ولا تكونوا عيالاً على الناس. وعن ابن المبارك أنه قال: من ترك السوقَ ساء خلُقه وذهبت مروءته.

وعن جابر أن رسول الله ﷺ قال «من غرس غرسًا أو زرع زرعًا فأكل منه إنسان أو دابة أو طير أو سبعٌ فهو له صدقة »[2].

وعن أنس بن مالك أن النبيّ ﷺ قال «لو قامت القيامة وفي يد أحدكم نواةٌ فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل»[3].

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: «كان رسول الله ﷺ يخرج إلى السوق ويشتري حوائج أهله، وسُئل عن ذلك فقال: أخبرني جبريل عليه السلام أن مَن سعى على عياله ليكفهم عن الناس فهو في سبيل الله»[4].

وقيل لبعض الحكماء: ما خير المكاسب؟ قال خير مكاسب الدنيا طلب الحلال لزوال الحاجة، والأخذ منه للقوّة على العبادة، وتقديم فضله لزاد يوم القيامة، وأما خير مكاسب الآخرة فعلمٌ معمول به نشرته، وعملٌ صالح قدَّمته، وسُنةٌ حسنة أحييتها، قيل: وما شرّ المكاسب؟ قال: أما شرّ مكاسب الدنيا فحرامٌ جمعته وفي المعاصي أنفقته، ولمن لا يطيع ربَّه خلَّفته، وأما شرّ مكاسب الآخرة فحقٌّ أنكرته حسدًا، ومعصيةٌ قدَّمتها إصرارًا، وسُنة سيئة أحييتها عدوانًا.

وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «أيها الناس إن أحدكم لن

---

(١) رواه ابن ماجه.

(٢) رواه الترمذي بلفظ: «ما من مسلم يزرع..»، عن أنس رضي الله عنه، وقال حسن صحيح.

(٣) روى البخاري في «الأدب المفرد» وأحمد في مسنده والسيوطي في الصغير: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها».

(٤) روى السيوطي في الصغير قوله ﷺ: « إن كان خرج يسعى على ولده صغارًا فهو في سبيل الله»

يموت حتى يستكمل رزقه، فلا تستبطئوا الرزق واتقوا الله وأجملوا في الطلب وخذوا ما حلّ وذروا ما حرم»[1].

وقال الحكيم: الناس في الكسب على أربع مراتب: منهم من يرى الرزق من الله تعالى ومن الكسب فهو مشرك. ومنهم من يرى الرزق من الله ولا يدري أيعطيه أم لا فهو منافق شاكّ، ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ويعصي الله تعالى لأجل الكسب ولا يؤدي حقه كما أمر الله تعالى فهو مؤمن مُسيء، ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ويرى الكسب سببًا ويُخرج حقه ولا يعصي الله لأجل الكسب فهو مؤمن مخلص.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه قال: لا يُقبل حجّ ولا عمرة ولا جهاد ولا صدقة ولا عتاق ولا نفقة من ربا ولا رشوة ولا خيانة ولا غلول ولا سرقة. انتهى.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٤٨- وادَّرِعْ جَدًّا وكَدًّا، واجْتَنِبْ صُحْبَةَ الحَمْقَى وأرْبابَ الخَلَلْ

(٤٨)- هذا من تمام ما تقدم من الأمر بالاجتهاد في الكسب. و**(الجد)** بفتح الجيم: الاجتهاد. قال في المصباح: الجد في الأمر الاجتهاد، وهو مصدر جد يجد من باب ضرب وقتل والاسم الجِد بالكسر، ومنه يقال: فلان محسن جدًا: أي نهاية، ولا يقال: محسن جدًا بالفتح، وقوله **(وكدًّا)** معطوف على جدًا. وهو بفتح الكاف التعب: أي واجعل الاجتهاد والتعب في اكتساب الرزق كالدرع المشتمل على جميع بدنك، بمعنى أن تجتهد وتتعب برجليك ويديك وسائر جسدك في طلب الرزق لأنه أمر محمود؛ قال ﷺ: «إن من الذنوب ذنوبًا لا يكفّرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة، ويكفرها الهموم في طلب المعيشة»[2].

وقد يكون التكسب واجبًا؛ كقادر على الكسب يحتاج عياله للنفقة ، فمن ترك ذلك كان عاصيًا؛ قاله في فتح الباري.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه ابن عساكر عن أبي هريرة.

وعن ثوبان رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال: «أفضل الدنانير دينار ينفقه الرجل على عياله، ودينار ينفقه على دابته في سبيل الله »[1].

وقوله: **(واجتنب صحبة الحمقى)** جمع أحمق وهو من ليس له ملَكة يملك بها نفسه عند الغضب أو هو فاسد العقل. ويحتمل أن يكون مراده بالحمقى المرأة الحمقاء، وقال عمر رضي الله عنه: لم يقم جنين في بطن حمقاء تسعة أشهر إلا خرج مائعًا. قال بعضهم: حدّ الحمق أنه قلة الإصابة ووضعُ الشيء في غير الموضع الذي وُضع له. وقيل لبعضهم: ما حدّ الحمق؟ فقال: لا حدَّ له كالعقل. انتهى.

وقالوا: الحمق داء دواؤه الموت؛ قال الشاعر:

لكـــلٌ داءٍ دواءٌ يُـــستطبّ بـــه ... إلا الحماقـةَ أعيـتْ مَـن يـداويها

وقال الأحنف بن قيس: إني لأجالس الأحمقَ الساعة فأجد ذلك في عقلي.

وقال لقمان لابنه: لا تعاشر الأحمق وإن كان ذا جمال؛ فإنه كالسيف حسنٌ منظره قبيحٌ أثره.

وقال سالم بن قتيبة: لا تطلب حاجتك من أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرّك، سكوته خير من نطقه، وبعده خير من قُربه، وموته خير من حياته.

وقوله: **(وأرباب الخَلَل)** أي واجتنب صحبة أهل الخلل بفتحتين: أي العيب كالزاني والفاسق والسارق والديوث وما أشبههم مما يُعاير بمعاشرتهم ويحصل النقص بمصاحبتهم لنقصهم في الدنيا والآخرة عند الله، وإنما نهى الناظم رحمه الله تعالى عن صحبتهم لأن الطبائع تُسرق بالمعاشرة، ألا ترى أن الإنسان بمعاشرته العلماء وأهل الكمالات يصير كاملاً، وبمعاشرته الفسَقة وأهل الرذائل يصير ناقصًا، كما قيل:

بُـــنيَّ اجتنـــبْ كـــلَّ ذي بدعـــةٍ ... ولا تـــصحبنَّ مَـــن بهـــا يُوصـــف

فيـــسرق طبعُـــك مِـــن طبعـــه ... وأنـــت بـــذلك لا تَعـــرف

---

(١) رواه السيوطي في الصغير.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٤٩- بَـيْنَ تَبْـذِيرٍ وَبُخْـلٍ رُتْبَـةٌ وكِـلا هَـذَيْنِ إنْ دَامَ قَتَـلْ

(٤٩)- أي لا تداوم على الإعطاء حتى يبلغ إلى التبذير الذي هو إنفاق المال في غير حقه، ولا على الإمساك حتى يبلغ إلى البخل الذي هو منع السائل مما يفضل عن الحاجة، بل كن وسطًا بين التبذير والبخل؛ لأن الواحد منهما إن دام عليه الشخص قتله وأهلكه؛ قال الله تعالى لنبيه عليه أفضل الصلاة والسلام: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٩]، أي لا تمسك عن الإنفاق حتى تضيّق على نفسك وأهلِك فلا تصل رحمك، ولا تتوسع في الإنفاق توسعًا زائدًا حتى لا تُبقي في يدك شيئًا، بل توسط بين ذلك كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٧]؛ أي حالاً وسطًا. فعُلم مما تقدم النصُّ على قبح البخل وعلى قبح التبذير. وأما البخل فقبحه لا يحتاج إلى النصّ عليه، فقد ورد في ذمه من الآيات والأحاديث والآثار ما لا يحصى؛ قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: البخيل يتعجل الفقر لنفسه، يعيش في الدنيا عيش الفقراء، ويحاسَب في الآخرة حساب الأغنياء.

وأما التبذير فقد ورد في ذمه آيات وأحاديث وآثار كثيرة، قال تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: إني لأبغض أهل بيت يُنفقون رزق الأيام الكثيرة في يوم واحد. وقال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما لولده يزيد: إنك إن أعطيتَ مالك في غير الحق يُوشك أن يجيء وليس معك ما تعطي فيه. وقال: التدبير يُثمر ويُنمي القليل، والتبذيرَ يمحَق ويدمر الكثير. وكان عبد الله

ابن جعفر من الأجواد الذين يغمرون بجودهم طوائف العباد، وانتهى به الإفلاس إلى أن سأله رجلٌ فقال له: إن حالي متغيرة بحوادث الزمان، ولكن أعطيك ما أمكنني. فأعطاه رداءً كان عليه، ثم دخل منزله فقال: اللهمّ استرني بالموت، فما لبث بعد دعوته إلا أيامًا قلائل.

• **تنبيه:** قال الفقهاء: الأصحُّ أن صرف المال في الصدقات ووجوه الخيرات وفي المطاعم والملابس ليس بتبذير ولا إسراف؛ لأن في الصدقات غرضًا، وهو حصول الثواب، ولأن المال إنما يجمع للانتفاع به في المآكل والملابس وغير ذلك. وقال مجاهد: لو كان أبو قبيس الجبل المشهور لرجلٍ ذهبًا ثم أنفقه في طاعة الله تعالى لم يكن إسرافًا، ولو أنفق رجلٌ درهمًا واحدًا في معصية الله كان إسرافًا. انتهى. وقيل للحسن بن سهل وكان كثيرَ العطاء: لا خير في السرَف، فقال: لا سَرفَ في الخير. ولله درّ القائل:

ذهــابُ المــال في حمــدٍ وأجــرٍ ذهــابٌ لا يُقــال لــه ذهــابُ

وحُكي أن عليّ بن موسى الرضا رضي الله عنه وعن آبائه فرَّق في يوم عرفة مالَه كلَّه، فقال له الفضل بن سهل: ما هذا المغرم؟ قال: بل هو المغنم، لا تعدنّ ما ابتغيت به أجرًا أو كرمًا مغرمًا، فقد كان جدي رسول الله ﷺ لا يدخر شيئًا لغدٍ ويُعطي عطاءَ من لا يخاف الفقر؛ قاله في «غرر الخصائص».

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٥٠- لا تَخُضْ في سَــبِّ ســادَاتٍ إنَّهُــمْ لَيــسُوا بأهْــلٍ للزَّلَــلْ

(٥٠)- أي لا تُدخل نفسَك ولا تتكلم بسوء في حقّ سادات مضوا وماتوا لأنهم رضي الله عنهم ليسوا بأهل للزلل ولا للخطأ ولا للنقص بل هم مبرَّءون منه، فيحرُم سبّ من مضى من سادات المسلمين والخوض في أعراضهم بما لا يليق بمقامهم، وذلك كالسَّادات من الصحابة والعلماء والصوفية، كما أنه يحرم سبّ الأحياء؛ فقد ورد: أن الميت يتأذَّى مما يتأذى منه الحيّ، فيحرم سبّ الصحابة الخارجين على عليٍّ بن أبي طالب مثلاً كما في وقعة الجمل وصفين والنهروان؛ لأنهم رضي الله عنهم خارجون بتأويلٍ وإن كانوا مخطئين في نفس الأمر؛ لأنهم

كلهم مجتهدون، والمصيب في اجتهاده له أجران والمخطئ فيه له أجر واحد، فكلهم مُثابون رضي الله عنهم، فالمتكلم فيهم متكلم في دِينه؛ لأنهم مبلغون لنا قواعده وأحكامه، فيجب على كلّ مسلم أن يلزم الأجوبة الحَسنة عن الأكابر المتقدمين من أنبياء وصحابة وتابعين ومجتهدين وعارفين.

فمما أجابوا به عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله: أما الفساد فلا نريده إن شاء الله تعالى، وأما العلوّ ففي النفس شيء منه، حين سمع قارئًا يقرأ قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [القصص: ٨٣] إنه رضي الله عنه لم يقل ذلك إلا هضمًا لنفسه اتهامًا لها كما هو شأن الأكابر، وإلا فمثل هذا الإمام لا يريد علوًّا في الأرض بيقين، ونظير ذلك قول الحسن البصري: لو حلف حالفٌ إن أعمال الحسَن أعمالُ مَن لا يؤمن بيوم الحساب، لقلت له صدقتَ لا تُكفِّر عن يمينك.

ومما أجابوا به عن الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى في عدم حضوره الجماعة خمسًا وعشرين سنة أنه لو لم يرَ له عذرًا يبيح له التخلف عن الحضور ما تخلف، فالتسليم لمثل هذا الإمام أسلم، وحمله على محملٍ حسن أغنم، رضي الله عنه.

ومما أجابوا به عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في قوله:

ولـولا الـشِّعر بالعُلمـاءِ يُـزري لكنـتُ اليـوم أشـعرَ مِـن لبيـد

ولـولا خـشية الـرَّحمن ربِّـي لقلـتُ النـاس كلُّهـمُ عبيـدي

إن المراد بما ذكره في البيت الأوّل شكر النعمة، فإن مِن شكر النعمة إظهارها والتحدث بها، لا فخرًا أو استطالة حاشاه من مثل ذلك، ويعني بالناس في البيت الثاني أبناء الدنيا الذين يحبونها بحكم الطبع بقرينة قول بعض العارفين لبعضِ الملوك أنت عبد عبدي، فقال له: لِمَ ذلك، فقال: لأنك عبدُ الدنيا والدنيا خادمةٌ لي. أو يقال: مراد الإمام بذكر ذلك شكر النعمة أيضًا حيث أن الله رزقه القناعة وأرضاه باليسير وحماه من سؤال أبناء الدنيا ونحو ذلك.

ومما أجابوا به عن أبي يزيد البسطامي في قوله: «خضتُ بحرًا وقفتِ الأنبياء بساحله»: أن معنى ذلك أن أبا يزيد يشكو ضعفه وعجزه عن اللحوق بالأنبياء

عليهم السلام، وذلك لأنهم خاضوا بحر التوحيد ووقفوا بالجانب الآخر يدعون الناس إلى الخوض: أي فلو كنت كاملاً لوقفتُ حيث وقفوا.

وكم في الكتاب والسنة من كلام يجب فيه التقدير كما في قوله تعالى: ﴿ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [البقرة: ٩٣]؛ أي أشربوا حبّ العجل فافهم.

ومما أجابوا به عن حجة الإسلام الغزالي في قوله: ليس في الإمكان أبدع مما كان، أن مراده ليس لنا إلا رتبتان: قِدَم وحدوث، فالحقّ سبحانه له رتبة القدم، والحادث له رتبة الحدوث، فلو خلق سبحانه ما خلق إلى ما لا يتناهى عقلاً لا يرقى عن رتبة الحدوث إلى رتبة القدم أبدًا.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٥١- وَتَغافَلْ عَنْ أُمُورٍ إنَّهُ ... لَمْ يَفُزْ بالحَمْدِ إلاَّ مَنْ غَفَلْ

(٥١)- أي أظهرْ من نفسك التغافل عن أمور غير محمودة وقعت من الناس، لأنه (لم يفز): أي لم يظفر (بالحمد): أي الثناء عليه من الله تعالى ومن الناس إلا (من غفل): أي من ترك أمور الناس ولم ينظر إلى عيوبهم. قال بعض الحكماء لولده: يا بنيّ لا تطّلع على عورات الناس وعيوبهم، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس. وما أحسن ما قاله بعضهم:

إن تجدْ عيبًا فسدّ الخللا ... جَلَّ مَن لا عيبَ فيه وعَلا

فالأوْلى التغافل عن أمور الناس وأحوالهم وأقوالهم؛ لأن «من حُسن إسلام المرء تركُه ما لا يعنيه» كما في الحديث[1].

ويُحكى عن أشهب صاحب الإمام مالك أنه كان في سعةٍ من الدنيا، وكانت معيشته معيشة الملوك. وكانت بلاد جيزة مصر إقطاعًا للإمام الليث بن سعد. وكان خراجها في كل سنة مائة ألف دينار، ولم تجب عليه زكاةٌ قط. وقد كان الفخر الرازي له ألف مملوك خلاف الجواري والخدم.

---

(١) روَى السيوطي في الصغير وابن تيمية في الإيمان وصححه الألباني برقم ٥٩١١ قوله ﷺ: «مِن حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

فالعلماء والأولياء على أقدام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فبعض الأنبياء كان له مالٌ كإبراهيم ويوسف وسليمان وأيوب عليهم الصلاة والسلام، وبعضهم لا مال له كنوح وعيسى ويحيى ووالده على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

وقال: إذا رأيتم أحدًا يرفع صوته بذكر الله تعالى فاحملوه على أنه يفعل ذلك محبةً في الله وطلبًا لأحدٍ يذكر الله بذكره ونهيضًا لِهمَم الإخوان لا لعلّة أخرى من حظوظ النفس، فإن ذلك لا يجوز.

ومن كلام الشيخ محيي الدين بن عربي: قال: إذا رأيتم أحدًا من العلماء والصالحين يتردد كثيرًا إلى الملوك والأمراء والقضاة والأغنياء ويسألهم الدنيا ويطلب منهم الوظائف من تدريسٍ وخطابة وإمامة ونحو ذلك فإياك أن تعترض عليه كما يقع فيه القاصر في الفهم والإدراك فيقول: لو كان هذا وليًّا أو عالمًا عاملاً بعلمه ما تردد إلى هؤلاء الأمراء، بل يجلس في بيته أو زاويته، ويشتغل بعبادة ربه، ورحم الله العلماء والأولياء الذين سلفوا، ونحو ذلك من ألفاظ الجسور، ولو استبرأ هذا القائل لدينه لوقف وتبصَّر في أمور هؤلاء الأولياء والعلماء قبل أن يُقدم عليهم، فربما كان ترددهم لكشف ضرر، أو خلاص مظلوم من سجن، أو قضاء حاجة لأحدٍ من عباد الله الذين لا يستطيعون توصيل حوائجهم إلى تلك الأمراء، فيسألون في ذلك من يُعتقد فيه من الأولياء والعلماء، فيجب عليهم الدخول على هؤلاء الأمراء لمصالح العباد، ويحرم عليهم الامتناع، وربما كان طلب أحدهم الوظائف ليقوم فيها بالعدل، ويتصرّف في ذلك بالمعروف.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٥٢- لَيْسَ يَخْلُو المرْءُ مِنْ ضِـدٍّ وإنْ حَـاوَلَ العُزْلَـةَ في رأْسِ جَبَـلْ

(٥٢)- أي **(ليس يخلو)** الإنسان **(من ضد)** أي شخص مضادّ ومخالف له، وإن حاول **(العزلة)**: أي الاعتزال عن الناس في رأس الجبل، بل وإن كان نبيًّا مرسلاً كما وقع للرسل عليهم الصلاة والسلام مع أُمَمهم مما هو منصوص عليه

في الكتاب العزيز خصوصًا نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام، فإن قريشًا خالفوه وعادوه حتى خرج من بلدته مكة وهاجر إلى المدينة المنوّرة، فلابدّ لكلّ مخلوق من ضدّ ينازعه، والأوْلى للواحد منَّا الصبر والتسلي بالماضين كما قال ﷺ في قصة مشهورة: «يرحم الله أخي موسى لقد أُوذي بأكثر مِن هذا فصبر»[1]. ولله درّ البوصيري حيث قال:

فتسلَّوا بمَنْ مضَى إذ ظُلمتم ... فالتسلّي للنفْس فيه عَزاء

ولو لم يكن عدوٌّ للإنسان أصلاً غير إبليس لعنه الله لكان كافيًا؛ لأن من المعلوم أنه أعدى الأعداء لبني آدم.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٥٣- مِلْ عَنِ النَّمَّامِ واهْجُرْهُ فَمَا ... بَلَّغَ المَكْرُوهَ إلا مَنْ نَقَلْ

(٥٣)- أي اترك النمام ودَعْه، فقوله **(واهجره)** تفسير لما قبله، وعلل ذلك بقوله: **(فما بلَّغ)**: أي وصَّل المكروه: أي الشيء الذي تكرهه النفس إلا الذي نقله لك وأخبرك به، والنمام كثير النمّ، وهو السَّعي بالحديث ليُوقع فتنة أو وحشة في القلوب، وهو حرامٌ إجماعًا ما لم تدْعُ الحاجة إليه كما إذا أخبرك شخصٌ أن إنسانًا يريد البطش بك أو بمالك أو بأهلك، فهذا ونحوه ليس بحرام كما صرَّح به النووي رحمه الله تعالى، والمذاهب متَّفقة على أنه كبيرة لحديث الصحيحين: «لا يدخل الجنة نمام»[2] أي مع السابقين.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «هل تدرون من أشراركم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذو الوجهين الذي يأتي هذا بوجهٍ وهذا بوجه»[3].

وقال يحيى بن أكثم: النمام شرّ من الساحر؛ لأن النمام يعمل في ساعةٍ ما لا يعمله الساحر في شهر.

---

(١) رواه السيوطي في الصغير عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري ومسلم عن حذيفة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد» وأبو داود في سننه.

وقال الحسن البصري: من نقل إليك حديثًا فاعلم أنه ينقل إلى غيرك حديثك.

ورُوي عن عمر بن عبد العزيز أنه دخل عليه رجل فذكر عنده رجلاً، فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك إن كنت كاذبًا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦] وإن كنت صادقًا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ﴾ [القلم: ١١]، وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين ولا أعود إلى مثل ذلك. ولِقُبح النميمة عند الله سبحانه وتعالى وصف الله الوليدَ بن المغيرة بعشرة أوصاف مذمومة، وذكر منها النميمة، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ﴾ [القلم: ١٠- ١١] الآية، قال ابن قتيبة: لا نعلم أن الله عزّ وجلّ وصف أحدًا بالذمّ مثل ما وصف الوليد بن المغيرة. ومراد الناظم رحمه الله تعالى بالنمام ما يشمل المغتاب أيضًا؛ وذلك لأن الغيبة والنميمة كالفقير والمسكين عند الفقهاء، وكالظرف والجار والمجرور عند النحاة، فمتى اجتمعا افترقا، ومتى افترقا اجتمعا.

والغِيبة: ذِكْر الإنسان بما فيه مما يكرهه سواء ذكرتَ ما فيه بلفظك أو بكتابتك أو بإشارة إليه بعينك أو يدك أو رأسك، **وضابطه**: كل ما أفهمتَ به غيرَك نقصانَ مسلمٍ فهو غيبة، وكما تحرم الغيبة على المغتاب يحرم استماعها وإقرارها، وهي تأكل الحسنات كما تأكل النارُ الحطبَ اليابس.

قال في «تنبيه الغافلين» ما نصه: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال «أتدرون ما الغِيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إذا ذكرت أخاك بما يكرهه، قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتَّه »[1]. أي قلت فيه بهتانًا.

وعن بعضهم أنه قال: لو قلت إن فلانًا ثوبه طويل أو ثوبه قصير يكون غيبة، فإذا كان ذلك في ثيابه ففي نفسه بالأوْلى.

وذكر عن إبراهيم بن أدهم أنه دُعي إلى طعام، فلما جلس قالوا: إن فلانًا لم يجئ، فقال رجل منهم: إنه رجل ثقيل، فقال إبراهيم: إنما فَعل فيَّ هذا بطني حيث شهدت طعامًا اغتيب فيه المؤمن. فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام.

(١) رواه أبو داود والترمذي بلفظ: «..يا رسول الله ما الغيبة؟..»، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقد رُوي عن النبيّ ﷺ أنه قال «اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذَر الناس منه»[1].

وقد ذكر العلماء [أن الغيبة] **تُباح في ستة مواضع** وسنذكرها مبينة فنقول:

الأول: التظلم، أي فيجوز للمظلوم أن يتظلم للسلطان أو القاضي أو نحوهما ممن له قدرة على إنصافه ممن ظلمه، فيقول ظلمني فلان بكذا وكذا ولا يزيد على الحاجة.

والثاني: الاستعانة على تغيير المنكر، فتقول لمن ترجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يفعل المنكر كالزنا وشرب الخمر، وتقصد بذلك أن يعينك على إزالة ذلك المنكر، فإن لم تقصد ذلك كان حرامًا.

والثالث: الاستفتاء، فيقول للمفتي ظلمني أبي أو أخي أو نحوهما فهل له ذلك أم لا ؟.

والرابع: التحذير: أي تحذير المسلمين من الشرّ ونصيحتهم من وجوه: منها جرح المجروحين من الرواة والشهود وذلك جائز بالإجماع بل هو واجب للحاجة، ومنها المشاورة في مصاهرة إنسان أو في مشاركته أو في إيداعه أو في معاملته أو نحو ذلك، ويجب على المستشار أن لا يُخفي شيئًا من العيوب التي فيه، بل يذكرها بنيّة النصيحة، ومنها أن يكون الشخص في ولايةٍ لا يقوم بها لعدم صلاحه لها أو لفسقه أو لتغفله فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية ليزيله ويولّي مَن يصلح لها أو ليحثه على الاستقامة.

والخامس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفًا بلقبٍ كالأعمش والأعرج والأعمى والأحول والأصم ونحوهما جاز تعريفهم بذلك، ويحرم ذكره على جهة التنقيص.

والسادس: أن يكون متجاهرًا بالفسق؛ كالمتجاهر بشرب الخمر وأخذ المكوس وأخذ أموال الناس ظلمًا، فهذه ستة مواضع تجوز فيها الغيبة.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٥٤- دَارِ جارَ السُّوءِ إنْ جارَ وإنْ ... لَمْ تَجِدْ صَبْرًا فَمَا أحلَى النُّقَلْ

(٥٤)- أي لاطف جار الدار وليِّن كلامك معه إن جار عليك وظلمك،

---

(١) رواه السيوطي في الصغير عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده.

وبالأولى ما لو أحسن إليك ولم يُؤذيك، وإن لم تجد صبرًا منك على ظلمه وجوره عليك **(فما أحلى النقل)**: أي الانتقال والتحوّل من هذه الدار إلى محل بعيد، فإن أرض الله واسعة.

قال العلماء: المداراة الملاطفة ولين الكلام، وهي من الخصال الحميدة؛ لأنها تدلّ على التواضع وحسن الخلق.

وقال بعض الحكماء: في المداراة سلامة الدين والدنيا.

وتخصيص الناظم رحمه الله تعالى الجار بالمداراة وإن كانت مطلوبة لكل أحدٍ لزيادة الوصية والاعتناء بالجار لما ورد فيه من الآيات والأحاديث؛ قال تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦]. قال ابن عباس: الجار القريب الذي بينك وبينه قرابة، والجار الجنب الذي لا قرابة بينك وبينه، وقيل القريب المسلم، والجنب الذمي.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا يُسلِم عبدٌ حتى يَسلَم الناس من يده ولسانه، ولا يؤمن عبدٌ حتى يأمَن جارُه بوائقه، فقلنا: يا رسول الله وما بوائقه؟ قال: غشمه وظلمه »[١].

وعن النبيّ ﷺ أنه قال «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرِم جارَه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه »[٢].

وعن الحسن البصري أنه قال «قيل يا رسول الله ما حقّ الجار على الجار؟ قال: تسعة أشياء: إن استقرضك أقرضته، وإن دعاك أجبته، وإن مرض عدته، وإن استعان بك أعنته، وإن أصابته مصيبة عزّه، وإن أصابه خير هنأته، وإن مات اشهده، وإن غاب احفظ منزله وعياله ولا تؤذه ».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[٣].

---

(١) رواه السيوطي في الصغير.

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» وأبو داود في سننه بلفظٍ مختلف.

(٣)رواه البخاري في «الأدب المفرد» وأبو داود وابن ماجه والترمذي وقال: حسن غريب.

وعن جابر الأنصاري عن النبيّ ﷺ أنه قال: «الجيران ثلاثةٌ، فمنهم من له ثلاثة حقوق، ومنهم من له حقان، ومنهم من له حقّ واحد، فأما الذي له ثلاثة حقوق فجارك القريب المسلم، وأما الذي له حقان فجارك المسلم أيضًا، وأما الذي له حقّ واحد فهو جارك الذمي»[١]. فينبغي أن يعرف الجار حقّ الجار وإن كان ذميًّا.

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: ليس حُسن الجوار كفُّ الأذى عن الجار، ولكن حسن الجوار الصبر على أذى الجار.

وروى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: ثلاثة خصال مستحسَنة كانت في الجاهلية والمسلمون أولى بها: أولها: لو نزل بهم ضيف اجتهدوا في برّه. الثاني: لو كانت لأحدهم امرأة كبيرة عنده لا يطلّقها ويمسكها مخافة أن تضيع. الثالث: إذا لحق بجارهم دَينٌ أو أصابته شدّة اجتهدوا حتى يقضوا عنه دَينه وأخرجوه من تلك الشدّة.

وعن سفيان الثوري أنه قال: من الجفاء أن يَشبع الرجلُ وجاره جوعان لا يُطعمه شيئًا من طعامه.

وعن أبي شريح عن النبيّ ﷺ أنه قال «واللهِ لا يُؤمن واللهِ لا يؤمن واللهِ لا يؤمن، قالوا: لقد خاب وخسر، مَن هو يا رسول الله؟ قال: مَن لا يأمن جاره بوائقه»[٢]: أي غوائله وشروره.

ثم الجار يقع على الساكن مع غيره، وعلى الملاصق وهو المراد من كلام الناظم، وعلى أربعين دارًا من كل جانب. فقد سُئل الحسن البصري عن الجار فقال: أربعون دارًا أمامه، وأربعون خلفه، وأربعون عن يمينه، وأربعون عن يساره.

---

(١) روى السيوطي في الصغير: عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الجيران ثلاثة، فجار له حق واحد وهو أدنى الجيران حقا، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق؛ فأما الذي له حق واحد فجار مشرك ولا رحم له له حق الجوار، وأما الذي له حقان فجار مسلم له حق الإسلام وحق الجوار، وأما الذي له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الإسلام وحق الجوار وحق الرحم».

(٢) رواه السيوطي في الصغير.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٥٥- جانِبِ السُّلْطانَ واحْذَرْ بَطْشَهُ لا تُعانِدْ مَنْ إذَا قالَ فَعَلْ

(٥٥)- أي اترك السلطان وتباعد عنه ولا تذهب إليه إلا بقدر الحاجة والضرورة ما لم يترتب على ذهابك إليه خير من شفاعة أو وعظ أو نحو ذلك. وقوله **(واحذر بطشه)** أي أخذه بقوّة وعنف، ولا تخاصم **(من)** أي الذي **(إذا قال)** قولاً **(فعل)** فعلاً على طبقه ولا يردّه عنه رادّ؛ أي لا تظهر له المخاصمة والعناد؛ لأن ذلك يُؤدي إلى البطش بك أو بمالك، والمراد بالسلطان من له سلاطة وقوّة وشوكة فشمل غير ولاة الأمور ممن له شوكة، ففي هذا البيت تصريحٌ باجتناب السلطان وعدم الاجتماع عليه، وتصريح أيضًا بعدم مخاصمته ومعاندته وعصيانه، وإذا قدر للإنسان الاجتماع به فيجب عليه أن يكون معه على أحسن الأحوال وأكملها في نهيه وأمره ومعاشرته وحفظ سرّه وعدم إذاعة ما يراه في جميع الأحوال والأقوال.

قال بعض الحكماء لولده: يا بنيَّ من كثرَ كلامه كثرَ ندمه، وإياك والركون إلى السلطان فإن الركون إليه هلاكٌ وسجن وضيق ليس معه فكاك، وإذا استدعاك بنفسه فكن معه على حذر، ولا تأمن مَكْره وغدره، فبئس الغادر إذا غدر، وكلّمه من حيث يريد ولا تكلمه من حيث لا يريد، وارْفق به كما ترفق بالطفل الصغير، ولا تدخل بينه وبين أحد من أولاده وعشيرته وأهل بيته، وإن حدَّثته حديثًا فأسنده إلى غيرك من الأنام، وهذه وصيتي فاحفظها واعمل بها. وقال آخرُ لولده: إذا خدمتَ السلطان أو غيره ممن له ولاية أو قوّة أو شوكة فلا تنم إليه، فإنه لا يزيده ذلك إلا نفورًا منك مخافة أن تنمّ به كما نممت إليه، وكُنْ أقرب الناس منه عند فرحه، وأبعدهم منه عند غضبه، ولا تعارضه فيما يريد أن يفعله، ولا تهن أصحابه ولا من يلوذ به من طائفته وذرّيته ومحبيه، وعاملهم بأحسن الأخلاق وأكملها كما تعامله بذلك. اهـ.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن الرجل ليدخل على ذي سلطان ومعه دِينه، فيخرج من عنده وليس معه دينه، قيل وكيف ذلك؟ قال: يُرضيه بما يُسخط الله.

وعن مكحول رضي الله عنه قال: من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم أتى بابَ السلطان تملقًا إليه وطمعًا فيما في يده خاض في جهنم بعدد خطاه.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يختم لنا بالسعادة آمين.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٥٦- لا تَلِ الحُكْمَ وإنْ هُــمْ سَــأَلُوا رَغْبَةً فِيــكَ وَخــالِفْ مَــنْ عَــذَلْ

(٥٦)- هذا البيت والستة أبيات التي بعده متعلقة بالحُكم والولاية على الرعية والقضاء بين الناس: أي لا تكن واليًا وإن سألك الناس ذلك لرغبتهم فيك وإرادتهم لك، بل اترك الولاية وخالف مَن عذلك ولامك على تركها، ففي كلام الناظم رحمه الله تعالى النهي عن تولية الأحكام؛ لأنه يحتمل أن لا يعدل في أحكامه فيصير إلى النار.

كما رُوي عن شقيق بن سلمة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل بشر بن عاصم الثقفي على صدقات هوازن فتخلّف، فلقيه عمر فقال: ما خلَّفك أما ترى لك علينا سمعًا وطاعةً؟! قال: بلى، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول «مَن ولّى أحدًا من الناس أُتي به يوم القيامة حتى يوقف به على جسر جهنم، فإن كان محسنًا نجا، وإن كان مسيئًا انخرف به فيهوي فيها سبعين خريفًا » فخرج عمر باكيًا كئيبًا حزينًا، فلقيه أبو ذرّ، فقال ما لي أراك حزينًا؟ قال: وما يمنعني من البكاء وقد سمعت بشر بن عاصم يقول: قال ﷺ: «مَن ولّى أحدًا من الناس أُتي به يوم القيامة حتى يوقف به على جسر جهنم، فإن كان محسنًا نجا، وإن كان مسيئًا انخرف به الجسر فيهوي فيها سبعين خريفًا وهي سوداء مظلمة»[1].

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٥٧- إنَّ نِصْفَ النَّاسِ أعــدَاءٌ لِمَــنْ وُلّــيَ الأحْكــامَ، هَــذَا إنْ عَــدَلْ

(٥٧)- هذا البيت تعليل لما قبله، أي لا تلِ الأحكام لأن نصف الناس أعداء لمن وُلّي الأحكام وعدل فيها، فإن لم يعدل فيها عاداه الناس كلُّهم وعاداه خالقُه، فخسر الدنيا والآخرة، **والنصف** كما في المصباح بكسر النون وضمها،

(١) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب.

والكسر أفصح، ويقال: نصيف كرغيف وهو أحد جزأي الشيء. اهـ

واعلم أن العدل في الأحكام قوام الدنيا والدين، وسبب إصلاح المخلوقين، وهو مأخوذ من الاعتدال وهو الاستواء، وحقيقة العدل وضع الأمور في موضعها، فلا توضع الشدّة في مكان اللين، ولا اللين في مكان الشدّة، ولا السيف مكان السوط، ولا السوط مكان السيف.

وأما الإنصاف، فهو استيفاء الحقوق بالأيدي العادلة، وهو والعدل توأمان نتيجتهما علوّ الهمة. وقد قيل: مَن عدل في سلطانه استغنى عن أعوانه، ويقال: عَدْلُ السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان.

وقال عمرو بن العاص: مَلِكٌ عادل خير من مطر وابل، ويقال: إذا عدل السلطان في رعيته ثم جارَ على واحدٍ لم يفِ عدلُه بجوره.

وكتب جعفر بن يحيى إلى بعض عماله: أنصف مَن وُليت أمره، وإلا أنصفه منك وليٌّ أمرك وهو الله تعالى.

وكتب أخوه الفضل: بئس الزاد إلى المعاد التعدّي على العباد.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٥٨- فَهُوَ كالمَحْبُوسِ عَنْ لَذَّاتِـــهِ وكِــلا كَفَّيْـــهِ في الحَـــشْرِ تُغَـــلّ

(٥٨)- أي فالحاكم كالشخص المحبوس عن لذاته كما هو مشاهد من كونه لا يمشي إلا بمركوب يركبه وبجماعة تمشي خلفه وغير ذلك، فإن لم يجد ذلك لم تسمح نفسه بخروجه إلى المحلّ الذي يريده فصار محبوسًا عن شهوته، وهذا الأمر حادث، وإلا فكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ملكًا في زيٍّ مسكين، واشترى عليٌّ كرّم الله وجهه تمرًا بدراهم، فحمله في ردائه، فسأله بعض أصحابه أن يحمله عنه، فقال: أبو العيال أحقّ بحمله. ولما وُلّي عليّ بن عيسى الوزارة، وذلك سنة ثلاثمائة [٣٠٠] رأى الناس يمشون حوله كما كانوا يمشون حول الوزراء قبله، فالتفت إليهم وقال: أنا لا أرضى لعبيدنا أن يفعلوا هذا معنا فكيف نكلفه قومًا أحرارًا لا إحسان لنا عليهم؟ ومنعهم من المشي في ركابه. انتهى.

وقوله (كلا كفيه في الحشر تغل) بالغين المعجمة: أي تجمع إلى عنقه بطوق من

حديد. قال في المصباح: (كلا) بالكسر والقصر اسمُ لفظٍ مفرد، ومعناه مثنى، وتلزم إضافته إلى مثنى، فيقال قام كلا الرجلين ورأيت كليهما، وإذا عاد عليه ضمير فالأفصح الإفراد نحو كلاهما؛ قال الله تعالى: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾ [الكهف: ٣٣] والمعنى كل واحدة منهما آتت أكلها، وتجوز التثنية فيقال: قاما. انتهى.

وكلام الناظم رحمه الله تعالى محمول على غير العادل. ففي الجامع الصغير أنه ﷺ قال: «غيرُ الدجال أخوفني على أُمّتي من الدجال؛ الأئمة المضلون».

وفيه أيضًا قال ﷺ: «في جهنم وادٍ وفي الوادي بئر يقال لها هبهب، حقٌّ على الله تعالى أن يسكنها كل جبار». وفيه أيضًا قال ﷺ: «الفَلَق سجن في جهنم يُحبس فيه الجبارون والمتكبرون وإن جهنم لتتعوّذ منه». وفيه أيضًا قال ﷺ «إن أحب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة وأدناهم منه مجلسًا إمامٌ عادل، وأبغض الناس إلى الله تعالى يومِ القيامة وأبعدهم منه إمامٌ جائر». وفيه أيضًا قال ﷺ: «أيّما راعٍ استرعى رعيةً فلم يُحصنها بالأمانة والنصيحة إلا ضاقت عليه رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء».

وقال آنوشروان: الناس ثلاثُ طبقات فنسوسهم بثلاث سياسات: طبقة هم الأبرار نسوسهم باللين والعطف. وطبقةٌ هم الأشرار فنسوسهم بالغلظة والعنف. وطبقةٌ هم العامة نسوسهم بالشدّة واللين كيلا تحرجهم الشدّة ولا يُبطرهم اللين.

وكان الرشيد في بعض غزواته فألحّ عليه الثلج ليلةً، فقال بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين أما ترى ما نحن فيه من الجهد والتعب والرعية قارَّة نائمة؟ فقال: اسكت فللرعية المنامُ وعلينا القيام، ولا بدّ للراعي من حراسة الرعية وتحمُّل الأذية. انتهى.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٥٩- إن للنَّقْصِ والاسْتِثْقالِ في ... لَفْظَةِ القاضِي لَوَعْظًا وَمَثَلْ

(٥٩)- هذا البيت متعلق بالقاضي الذي هو أحد الحكام: أي أن في **النقص** بالصاد المهملة، وفي **الاستثقال** المتضمن لهما لفظ القاضي **لوعظًا** كافيًا **ومثلاً** شافيًا يزجران ويمنعان من له عقل عن الدخول في ولاية القضاء.

ووقف الناظم رحمه الله تعالى بالسكون على (**مثل**) مع أنه منصوب تبعًا لربيعة الذين يقفون على المنصوب بالسكون. وبيان النقص في لفظ القاضي أنه من الأسماء المنقوصة كالثاني والوالي ونحوهما، فيُقدَّر في إعرابه الرفع والخفض ويظهر فيه النصب، فتقدَّر الضمة في الرفع والكسرة في الخفض، والمانع من ظهور الضمة في الأول والكسرة في الثاني [**الاستقال أي**] الثقل.

قال ابن مالك رحمه الله تعالى:

والثانِ مَنقوصٌ ونصبُه ظهَرْ ورفعُه يُنوى كذا أيضًا يُجَرّ

ولله درّ الملاّح حيث قال في تخميسه:

وإذا فزتَ بقاضٍ مُسْعفٍ عادلٍ في الحُكمِ خير مُنصفِ

فتأمَّلْ حِكمة السرِّ الخَفِيِّ (إن للنَّقصِ والاسْتِثْقالِ في

لَفظَةِ القاضِي لَوَعْظًا ومَثَلْ)

ففي كلام الناظم النهيُ عن تولي القضاء، وهو محمول على من ليس له أهلية فيه؛ لعجزه عن ذلك أو لجهله وعدم معرفته، وإلا فالقضاء في حقّ الصالحين له فرضُ كفاية في كل ناحية تحتاج إلى قاض والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد يكون فرضَ عين كما إذا لم يوجد في الناحية صالح له إلا شخصٌ واحد فيتعين عليه.

وقد ورد في فضله من الكتاب والسُّنة ما يرغب فيه كقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء: ١٠٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [المائدة: ٤٢]، وقوله ﷺ: «إن الله تعالى مع القاضي ما لم يُجر، فإن جار تبرأ الله منه وألزمه الشيطان »[1]. ولله درّ القائل:

نِعم الوظيفة القضا لأَهْلِه وظيفةُ الأشْراف والأفاضل

فاحفظْ لَها حقوقَها واعملْ بها ولا تكنْ عن حِفظها بذاهل

---

(١) رواه الحاكم والبيهقي.

وقال بعضهم:

مَرتبةُ الرَّسول طهَ المُصْطفى أكرِمْ بها بين الأنام مَرتبةْ

وأما ما ورد من النهي عن ولايته فهو محمول على من ليس فيه أهلية للقضاء؛ كقوله ﷺ «مَن جُعل على القضاء فكأنما ذُبح بغير سكين»[1].

ولهذا الحديث امتنع منه أكابر العلماء كالإمام الأعظم، فإنه أدخل على أبي جعفر الدوانيقي، فقال: يا أبا حنيفة أعنّا على أمرنا، فقال أبو حنيفة: يا أمير المؤمنين إن كنتُ صادقًا عندك فقد أخبرتك أني لا أصلح لهذا الأمر، وإن كنت كاذبًا فلا يحلّ لك توليتي هذا الأمر.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٦٠- لا تُسَاوِي لَذَّةُ الحُكْمِ بِمَا ذَاقَهُ المَرْءُ إذا المَرْءُ انْعَزَلْ

(٦٠)- أي: لا تقوم لذّة الحكم مقام الذي يحصل للشخص وقت انعزاله حين يقول له صاحب أمره أنت معزول، فمع ما يحصل للحاكم في مدّة ولايته من لذّة الأمر والنهي والإعطاء والمنع وغير ذلك لا يساوي قولُ وليٍّ أمره أنت معزول لما يلحقه بسبب ذلك من الشدّة والمشقة والاضطراب وانحلال الأمر وغير ذلك.

وقال بعضهم: لا تشاور المعزول فإن رأيه مفلول، بالفاء. ولله درّ الملاح حيث قال في تخميسه:

صحَّ في الجنّة قاضٍ عَلِما ولظَى اثنان بقَوْل العُلما

أنصفِ الخَصمين يا مَن حَكما (لا تُوازي لَذّة الحُكم بما

ذاقه الشخصُ إذا الشخصُ انْعزل)

وهذا مصداق قوله عليه الصلاة والسلام: «القضاة ثلاثةٌ: قاض في الجنة، وقاضيان في النار، فالأوّل رجل عرف الحقّ فاتبعه وحكم به فهو في الجنة، والثاني رجل عرف الحقّ ولم يحكم به فهو في النار، والثالث رجل لم يعرف الحقّ وحكم على جهلٍ فهو في النار»[2]. ولله درّ القائل:

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي بلفظ مختلف، وقال الترمذي: حسن غريب.

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي بلفظ مختلف، وقال الترمذي: حسن صحيح.

إن القـــضاةَ ثلاثـــةٌ بـــصعيدنا قـــد حقّقـــوا مـــا جـــاء في الأخبـــار
قـــاضٍ بإســـناد قـــد ثـــوى في جنـــةٍ والقاضـــيان كلاهمـــا في النـــار

ويُحكى أن بعض الجهال من القضاة تقدم إليه رجل بخصم فقال: هذا باعني ثوبًا فوجدتُ فيه عيبًا، وسألته أن يقيلني فأبى، فالتفت إليه القاضي وقال له: أَقِلْهُ عافاك الله؛ فإن رسول الله ﷺ قال «قيلوا فإن الشياطين لا تقيل»[1] فانظر إلى جهله.

وقيل لقاضي حمص: كيف تحكم على اللوطى؟ قال: بنصف حكومة الزاني، قيل له ولمِ؟ قال: لأن الحمار لا يحمل إلا نصف ما يحمل البغل، وهذا حكمٌ لا معنى له.

وادَّعت امرأة على زوجها مهرًا عند بعض القضاة فأنكر، فأمر القاضي أن يُجلد حدَّين، قيل له ولم حكمت بهذا؟ قال: لأنهما زنيا إذ لم يكن بينهما مهر، قيل أفلا تحدّ المرأة؟ قال: بلى؛ لأن النخلة إذا لم تحمل رأسها أحرق أصلها، هذا كلام لا معنى له.

• قال الناظم رحمه الله تعالى:

٦١- فالْوِلاياتُ وإنْ طابَـــتْ لِمَـــنْ ذَاقَهـــا فالـــسُّـــمُّ في ذَاكَ العَـــسلْ

(٦١)- هذا البيت تفريع على البيت الذي قبله: أي فالأحكام وإن كانت حلوة كالعسل لما ينشأ عنها من حلاوة الأمر والنهي والسطوة والعلوّ والعظمة وغير ذلك مما تتمناه النفس، فذلك العسل فيه سمّ قاتل لوقته لِمَا ينشأ عن المذكورات من الكِبر والعُجب والخيلاء واحتقار المسلمين، ولأن الغالب في مُتولي الأحكام أن تكون آخرته تفريقَ شمله وتشتيت جمعه وموته غريبًا كما هو مشاهَد معلوم، فقد ثبت أن بني أمية تفرّق أمرهم غاية التفرّق وكذلك غيرهم.

ولما تفرق الأمر عن مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية وأيقن بزوال ملكه وغلبة بني العباس عليه، قال لكاتبه عبد الحميد بن يحيى: إني قد احتجت أن تكون مع عدوّي فتظهر لهم الغدر بي، فإن استطعت أن تنفعني في حياتي، وإلا فلا تعجز في حفظ حرمتي بعد وفاتي. فقال عبد الحميد: إن الذي أمرتني به أنفع الأمرين لك

(١) الحديث رواه السيوطي في الصغير وحسنه الألباني، والشاهد: أن القاضي لم يتثبت من الواقعة.

وأضرّهما بي، وما عندي إلا الوفاء لك حتى يفتح الله أو أُقتل معك، فأمسك عنه ساعةً وأعاد عليه القول ثانية، فقال: ﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ﴾ [البقرة: ١٧٧] فلم يزل معه حتى قتل، وذلك في آخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة [١٣٢هـ] وله تسع وخمسون [٥٩] سنة، وقتل ببوصير قرية من صعيد مصر، وهو آخر ملوك بني أمية، وكانت مدة دولتهم ثلاثًا وتسعين سنة وأحد عشر شهرًا وأيامًا، وهرب عبد الحميد إلى قرية تعرف بالأشمونين، فاختفى فيها فدُلّ عليه وحُمل إلى أبي العباس السفاح بأمانٍ فلم يحظ عنده.

وذكر بعضهم: أن جماعة من بني أمية دخلوا على أبي العباس السفاح وفيهم الغمر بن هشام بن عبد الملك، فألحّ عليه أبو العباس بالنظر، فلما رأى الغمر ذلك منه أنشد وقال:

عبدُ شمسٍ أبوك وهو أبوك ... لا تُناديك مِن مَكان سَحيق

والقراباتُ بيننا واشجاتٌ ... مُحكَماتُ العُرا بعَقدٍ وثيق

فأعجبه ذلك منه وأجلسه معه على السرير، وأقعد أصحابه حوله يمينًا وشمالاً وتحدث معهم فشكروه على ذلك. فبينما هم يتحادثون إذ دخل عليهم سديف بن مأمون فأنشد السفاح القصيدة التي أولها:

عمر الدين فاستنار مليا ... .

حتى أتمها، فقال السفاح: يا ابن هاشم كيف ترى شاعرنا؟ فقال للسفاح: ما قال شاعركم؟ فقال: قال:

لو تحمل البُخت والأفيال مثقلة ... أحلامهم تركت عقر المباهير

لا يعبثون إذا لجتْ مَحافلُهم ... زين المَجالس فرسان الزنابير

فاحمرَّت عينا السَّفاح وهاجت به حَمية كانت قد سكنت، ثم ضرب على فخذ الغمر وقال:

طمعتْ أميةُ أن يجاوز هاشم ... عنها ويذهب زيدُها وحسينُها

كلاّ وربّ محمدٍ ومليكه ... حتى يُبادَ كَفورُها وخَئونها

ثم قال لهم: قوموا إلى مقصورتكم، ثم دعا بثلاثة وسبعين رجلاً من أهل

خراسان فأعطاهم الخشب وقال: اشدخوهم، فشدخوهم عن آخرهم. قال سديف: واللهِ ما خرجت من الأنبار حتى رأيتهم معلقين بعراقيبهم قد نهشت الكلاب رؤوسهم.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٦٢- نَصَبُ المَنْصِبِ أَوْهَى جَسَدِي وَعَنَائِي عَنْ مُدَارَاةِ السَّفَلْ

(٦٢)- **(النصب)** بفتح النون والصاد المهملة: التعب والإعياء، و**(المنصب)** بفتح الميم وكسر الصاد وزان مجلس العلوّ والرفعة. وقوله **(أوهى جسدي)** أي أضعفه فهو يتعدى بالهمزة كما هنا، وقوله **(وعنائي)** بفتح العين والمد: أي تعبي وارتكابي ما يشقّ عليّ، وقوله **(عن مداراة)**: أي ملاطفة وملاينة، **(السفل)** أي الأراذل، وهذا التقرير كله مستفاد من المصباح، وقوله: **(نصب)** مبتدأ وجملة **(أَوْهَى جسدي)** خبره، وقوله و**(عنائي)** مبتدأ خبره الجار والمجرور بعده، أو خبره محذوف لدلالة ما قبله عليه: أي أوْهى جسدي أيضًا، وفي بعض النسخ جَلَدي: أي تجلدي وتصبري.

• **تتمة:** سُئل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما عن السفلة فقال: هم الذين ليس لهم فعلٌ موصوف ولا نسبٌ معروف.

ولذلك قال بعضهم: شهادات الأفعال أصدق من شهادات الرجال. وقال الأصمعي: السفل هم الذين لا يبالون بما قالوا أو قيل فيهم.

وقال يحيى بن أكثم: هم الذين لا يعيبهم ما صنعوا. وسمع الأحنف رجلاً يقول: لا أبالي مُدحتُ أو ذُمِمت، فقال: يا هذا استرحتَ من حيث تَعب الكرام. وقال بعضهم: هم الذين يكافئون على الفعل الحسن بالقبيح.

كما يُحكى أن رجلاً يقال له همام بن مرّة أخذ شخصًا يقال له ناشرة من أمه لما مات أبوه وضاقت بتربيته ذرعًا، فربَّاه همام وأحسن إليه، فلما بلغ ناشرةُ الحُلُم أتى شيئًا قبيحًا، فنهاه عنه، فتركه [ناشرةُ] حتى نام واغتاله: أي قتله، فصار مثلاً في العرب تقول «أكفر من ناشرة».

وحُكي أنه أغار مالك بن خثيمة الجعفي على بني القين، فاستاق منهم إبلاً،

فأطلقوا خلفه الأعنة ليطلقوها منه فلم يقدروا عليه ولا وصلوا إليه، ثم إنه تذكر يدًا كانت لبعضهم عنده، فخلَّى ما كان في يده وولّى منصرفًا، فنادوه وقالوا: إن أمامك مفازة ولا ماء معك، وقد فعلت جميلاً فانزل ولك الذمام، فنزل، فلما اطمأن وسكن أخذته سِنة فنام، فوثبوا عليه وقتلوه غدرًا، فهذا شأن الأسافل.

وقد ورد في الحديث أنه ﷺ قال «إذا جمع الله الأوّلين والآخرين رفع لكل غادر لواء، وقيل هذه غدرة فلان »[1].

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٦٣- قَصِّرِ الآمالَ في الدُّنيا تَفُزْ   فَدَلِيلَ العَقْلِ تقْصِيرُ الأمَلْ

(٦٣)- أي قصر آمالك في طلب الدنيا فإنك إن فعلت ذلك فزت: أي ظفرت بكل خير، واستدللنا على كمال عقلك؛ لأن تقصير الأمل دليل على كمال العقل. فسبيل العاقل تقصير آماله في الدنيا، والتقرّب إلى الله سبحانه وتعالى بصالح الأعمال، ولهذا قال بعضهم: قِصَرُ الأمل سببٌ للزهد؛ لأن من قصر أمله زهد، ويتولد من طول الأمل الكسل عن الطاعة والتسويف بالتوبة والرغبة في الدنيا والنسيان للآخرة والقسوة في القلب.

وقيل: من قصر أمله قلّ همه وتنوّر قلبه؛ لأنه إذا استحضر الموتَ اجتهد في الطاعة ورضي بالقليل.

وقال ابن الجوزي: الأمل سرٌّ لطيف؛ لأنه لولا الأمل لما تهنّأ أحدٌ بعيش ولا طابت نفسُه أن يشرع في عملٍ من أعمال الدنيا، والمذموم مِن الأمل الاسترسال فيه وعدم الاستعداد لأمر الآخرة، فمن سلم من ذلك لم يكلف بإزالته.

وورد في ذمّ الاسترسال في الأمل حديث أنس رفعه «أربعة من الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وطول الأمل، والحرص على الدنيا ». رواه البزار.

ورُوي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «أخوف ما أخاف عليكم اثنان: طول الأمل، واتباع الهوى؛ فإن طول الأمل يُنسي الآخرة، واتباع الهوى يصدّ عن الحقّ».

---

(١) رواه ابن ماجه والترمذي وقال: حسن صحيح.

واعلم أن السبب في تقصير الأمل وعدم الاسترسال فيه هو تذكر الموت والقبر والثواب والعقاب وأهوال القيامة؛ قال ﷺ: «أكثروا من ذكر هادم اللذات»[1].

ويُروى أن امرأة شكت إلى عائشة رضي الله تعالى عنها قساوة قلبها، فقالت لها: أكثري من ذكر الموت. ففعلت ذلك فرقّ قلبها.

وقال عبد الله بن عقبة: عُدت رجلاً مريضًا، فلما قعدت عنده قلت: كيف تجدك؟ فأنشد يقول:

خرجتُ من الدنيا وقامتْ قيامتي ... غداةَ أقلَّ الحاملون جنازتي

وعجَّل أهلي حفر قبري وصيّروا ... خُروجي وتعجيلي إليه كرامتي

كأنهم لم يعرفوا قطّ صورتي ... غداة أتى يومي عليّ وساعتي

وقال ثابت البناني رحمه الله تعالى: دخلت المقابر لأزور القبور، وأعتبر بالموتى وأتفكر في البعث والنشور، وأعظ نفسي لعلها ترجع عن الغيّ والغرور فوجدت أهل القبور صُموتًا لا يتكلمون، وفُرادى لا يتزاورون، فأيست من مقالهم واعتبرت بأحوالهم، فلما أردت الخروج إذ أبصرت من يقول: يا ثابت لا يغرّنك صموتُ أهلها فكم فيها من نفس مُعذبة أو مُنعمة.

ويروى أن بعض المتعبدين أتى قبر صاحبٍ له كان يألفه، فوقف عند رأسه وأنشد يقول:

ما لي مررتُ على القبور مسلّمًا ... قبر الحبيب فلم يردَّ جوابي

أحبيبٌ ما لك لا تُجيب مناديًا ... أملك بعدي خِلة الأصحاب

قال: فهتف بي هاتف من جانب القبر يقول:

قال الحبيبُ وكيف لي بجوابكم ... وأنا رهينُ جنادل وترابِ

أكلَ الترابُ مَحاسني فنسيتكم ... وحُجبتُ عن أهلي وعن أصحابي

وتمزّقتْ تلك الجلودُ صفائحًا ... يا طالما لبستْ رفيعَ ثيابِ

وتساقطتْ تلك الثنايا لؤلؤًا ... ما كان أحسنها لردّ جواب

وتساقطتْ تلك العيونُ على الثرى ... يا طالما نظرتُ بهم أحبابي

---

(١) رواه البخاري في صحيحه.

وقيل مرّ داود الطائي بامرأة تبكي عند قبر وهي تنشد وتقول:

عــدمتَ الحيــاةَ فــلا نلتَهــا إذا أنــتَ في القَبر قـد أوسـدوكا
وكيـفَ أُلـذّ بطَعـم الكـرَى وهـا أنـت في القبر قـد أفردوكـا

ثم قالت: يا أبتاه بأي خدٍّ بدأ الدود أولاً، فخرَّ داود مغشياً عليه من كلامها.

وقال مالك بن دينار: أتيتُ القبورَ على سبيل الزيارة والتذكار والتفكر في الموت والاعتبار، فتمنيت من يخبرني عنهم خبرًا، أو يقص لي من آثارهم أثرًا، فقلت شعرًا:

أتيــتُ القبــورَ فناديتُهــا فــأين المعظَّــم والمُحتقَــرْ
وأيــن المــذِلُّ بــسُلطانه وأيــن العزيـز إذا مـا افتخـرْ

قال: فنُوديت من بين القبور:

تفــانوْا جميعًــا فــلا مُخـبر ومــاتوا جميعًـا وأضـحوا عِـبر
وســاروا إلى مَلِــكٍ عــادل عزيــز مُطــاعٍ إذا مـا أَمـر
فيـا سـائلي عـن أُنـاسٍ مـضَواْ أمـا لَـك فـيمَن مـضَى مُعتـبر

قال مالك: فرجعت أبكي بالدموع الغزار واعتبرت بذلك أيَّ اعتبار.

وقال الأصمعي: كنت كثير التفكر في القبور، وأتسلى بقراءة الكتابة التي عليها، فرأيت قبورًا على صفٍّ عليها لوح مكتوبٌ عليه هذان البيتان:

ألاَ قُــلْ لمــاشٍ علــى قبرنــا غفــولٍ بأشــياء حلّــت بنــا
ســيندم يومًــا لِتفريطــه كمَــا قــد نَــدمنا لِتفريطنــا

وما أحسن ما قال بعضهم:

المـوتُ لابـدّ منـه فاسـتعدّ لـه إن اللبيـبَ بـذكرِ المـوت مَشغولُ
وكيــف يلــهو أو يُلــذّ بــه مَـن الـتراب علـي خدَّيْـهِ مجعـولُ

وفي هذا قرب من قول الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٦٤- إنَّ مَنْ يَطْلُبُهُ المَوْتُ علَى غِـرَّةٍ مِنْـهُ جَـدِيرٌ بالْوجَـلْ

(٦٤)- **(الغرّة)** بكسر الغين المعجمة: الغفلة، وبضمها تطلق على أوّل الشهر وغيره، وتطلق على الواجب في الجناية على الجنين، وتطلق على البياض الذي في

الجبهة إذا كان فوق الدرهم، ومنه الغرّة في الوضوء؛ أفاده في المصباح، وفيه أيضًا وهو جدير بهكذا بمعنى خليق وحقيق، وفيه أيضًا وجل وجلاً فهو وَجِلْ والأنثى وجلة من باب تعب إذا خاف. انتهى. وهذا البيت كالتعليل للبيت الذي قبله: أي إنما أمرتك بتقصير الأمل في الدنيا لأنك منقول من هذه الدار قطعًا، ولا تدري أين يكون الانتقال، فاللائق بك الاستعداد للرحيل وعدم الركون إلى الدنيا.

قال بعضهم: من علم أن الموت نازلٌ به وأيقن أنه في عسكر الموت استعدّ له بالأعمال الصالحة ما يدفع عنه بعض شدّته، فإنه لا يدري متى هو نازل به، وقد بيَّن رسول الله ﷺ شدَّة الموت لأُمَّته لكي يستعدوا له ويصبروا على شدائد الدنيا التي هي أيسر وأخفّ من معالجة الموت، جعلنا الله وإياكم ممن خافه وعمل له آمين.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكعب الأحبار: حدِّثني عن الموت، فقال: كأنه غصن شوك أدخل في جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق، ثم جذبها رجلٌ شديد الجذب جذبة شديدة، فقطع منها ما قطع وأبقى ما أبقى. وقال النبي ﷺ: «لو علمتِ البهائمُ ما تعلمون من الموت ما أكلتم منها لحمًا سمينًا أبدًا»[1]. وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما أنه قال: «ما من نفس برَّة ولا فاجرة إلا والموت خير لها، فإن كان برًّا فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾، وإن كان فاجرًا فقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨] ».

ورُوي عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ: «أنه سُئل أي المؤمنين أفضل؟ قال: أحسنهم خُلقًا، قيل: أي المؤمنين أكيس؟ قال: أكثرهم للموت ذكرًا وأحسنهم له استعدادًا»[2]. وقال ﷺ: «الكيِّسُ مَن دانَ نفسَه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتْبع نفسَه هواها وتمنَّى على الله - عزَّ وجلَّ - الأماني»[3]. يعني المغفرة، قاله في «تنبيه الغافلين». ولله درّ الملاح حيث قال في تخميسه:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه ابن ماجه.

(٣) رواه ابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن.

اتَّقِ اللهَ وقَصِّرْ أملاً   وارضَ مِن رزقٍ بمهما حصلا
ليس في الدنيا خُلودٌ للمَلا   (إن مَن يطلبه الموتُ على
غِرَّة منه جديرٌ بالوجل)

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٦٥- غِبْ وَزُرْ غِبًّا تَزِدْ حُبًّا فَمَنْ   أَكْثَرَ التَّرْدَادَ أضْنَاهُ المَلَلْ

(٦٥)- أمر الناظم رحمه الله تعالى بالغَيبة عن الناس، فقوله **(غب)** بكسر الغين المعجمة: أي اعتزل الناس ولا تخالطهم، ثم أمر بالزيارة لهم بقوله **(وزر غبًّا)** بكسر الغين: أي يومًا بعد يوم، هذا هو المراد بزيارة الغب، ولكن المراد هنا أن لا تغيب زمنًا طويلاً بين الزيارتين، ثم علل الأمر بزيارة الغبّ بقوله **(فمن أكثر الترداد)** على الناس **(أضناه الملل)** أي أمرضه مرضًا ملازمًا، والملل: السآمة والضجر، وهذا البيت مأخوذ من قوله ﷺ «زُرْ غِبًّا تزدد حُبًّا»[1]، وهذا يختلف باختلاف الناس: فبعضهم تُسنّ زيارته كل يوم بأن علمت أنك إذا غبت عنه يومًا يشقّ عليه ذلك، وبعضهم يومًا بعد يوم، وبعضهم بعد أسبوع، إلى غير ذلك، فتُستحبُّ زيارة الإخوان والعلماء والصلحاء على حسب ما يقتضيه الحال؛ لأن ذلك مما يورث المحبةَ في القلوب مع حصول الثواب الجزيل؛ ففي الجامع الصغير قال ﷺ: «أيُّ عبدٍ زار أخاه في الله تعالى إلا نُودي: أن طِبْتَ وطابت لك الجنة» انتهى.

وقال في«غرر الخصائص» ما نصه: قال رسول الله ﷺ: «من عاد مريضًا أو زار أخًا نادى مُنادٍ: أن طبتَ وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً»[2]. ولقد أحسن من قال: امشِ ميلاً وعُدْ مريضًا، وامشِ ميلين وأصلح بين اثنين، وامشِ ثلاثة أميال وزر أخًا في الله.

وقال بعضهم: الإفراط في الزيارة مملّ، والتفريط فيها مخلّ. وقالوا: ربما كان التقالي: أي التباغض في كثرة التلاقي . وقالوا: قلّة الزيارة أمانٌ من الملال.

---

(١) رواه الطبراني.
(٢) رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب.

وقالوا: كثرة التعاهد سبب التباعد. ولقد أحسن بعضهم قوله:

عليـــك بإغبـــاب الزيـــارة إنهـــا إذا كثرت صارتْ إلى الهجر مَسْلكا
ألم تــرَ أن الغيـــثَ يُـــسأم دائمًـــا ويُـسأل بالأيـدي إذا هـو أمـسَكا

ومما يكون سببًا للمحبّة عيادة المريض لخبر: «إن المسلم إذا عاد أخاه لم يزل في حديقة الجنة حتى يرجع، قيل: فما حديقة الجنة؟ قال: جناتها» ومما ينبغي للضيف الظريف في عيادة المريض تخفيف السلام وتقليل الكلام وتعجيل القيام.

وحُكي أن عمرو بن العلاء رضي الله عنه مرض، فعاده بعض الأصدقاء له، فأبطأ عنده، فقال ما يُبطئك؟ قال: أريد أن أسامرك، قال: أنت معافًى وأنا مبتلى، والعافية لا تدعك تسهر، والبلاء لا يدعني أنام، واللهَ أسأل أن يسوق لأهل العافية الشكرَ ولأهل البلاء الصبرَ.

وحكَى سَلمة قال: دخلت على الفراء أعوده، فأطلت وألحفت في السؤال فقال: ادن، فدنوت فأنشدني:

حـقُّ العيـادة يـومٌ بعـد يـومين ولحظـةٌ مثـل لحـظ العَـين بـالعين

ويكفي في أدب العيادة ما يُحكى أن الفضل بن يحيى اعتلّ فكان إسماعيل ابن صبيح يعوده، فلا يزيد على السلام عليه والدعاء له ثم ينصرف، فيسأل الحاجبَ عن حاله ومأكله ومشربه ونومه، وكان غيره يطيل الجلوس، فلما بريء الفضل قال: ما عادني في علّتي هذه غيرُ ابن صبيح.

وينبغي لمن عاد المريضَ أن يُبشره ولا يكون كبعض البلداء، كما حُكي أنه دخل حمصيّ على عروة بن الزبير يعوده لما قُطعت رجلُه لأكَلة أصابتها، فقال له: أقُطعتْ رجلك؟ قال نعم، قال جيد، ثم قال له: أوجعك شديد؟ قال: نعم، قال جيد، ثم قال: لا تغتمّ فإنك لو رأيتَ ثوابها لتمنيت أن الله قد قطع رجليك ويديك وأعمى بصرك ودقّ صلبك. فكان مصاب عروة بعائده أكثر من مصابه بما قُطع من جسده .

وأين هذا من عيسى بن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، فإنه دخل على عروة هذا يعوده لما قُطعت رجله، فقال: واللهِ ما كنا نُعِدّك للصراع ولا للسباق، ولكن نعدّك للخير ونوالك المنساق، ولئن أعدمنا الله أقلَّك لقد أبقى لنا أكثرَك،

سمعك وبصرك ولسانك وعقلك ويديك وإحدى رجليك، فقال: يا عيسى ما عزّاني أحد بمثل ما عزّيتني به.

ودخل رجلٌ على مريض يشكو من رأسه فقال لأهله: لا ضَيْرَ، إذا رأيتم المريض هكذا فاغسلوا أيديكم منه. وعاد آخرُ مريضًا فقال: ما بك؟ قال وجع الركبة، فقال: إن جريرًا ذكر بيتًا ذهب عني صدره وبقي عجزه وهو:

....   ولــيس لِــدَاءِ الـــركبتين دواء

فقال المريض: ليت عجزُه ذهب كما ذهب صدره. وعاد آخرُ مريضًا فقال لأهله: آجرَكم اللهُ ورحم ميتكم، فقالوا: إنه لم يمت بعد، فقال: يموت إن شاء الله تعالى. وعاد آخر مريضًا فلما خرج من عنده قال لأهله: لا تفعلوا في هذا كما فعلتم في فلان مات وما أعلمتموني.

وعاد آخرُ مريضًا، فلما خرج قال لأهله: آجَرَكم اللهُ وأحسن عزاءكم، فقالوا: إنه لم يمت! قال: عرفتُ ولكني شيخ كبير فلا أستطيع النهوض في كل وقت، وأخاف أن يموت فأعجز عن المجيء لأعزّيكم به.

وعاد آخر مريضًا فقال: ما تشتكي؟ قال: قال وجع الخاصرة، قال: والله كانت علة أبي فمات منها، فعليك بالوصية يا أخي، فدعا المريض ولده فقال: يا بنيّ أوصيك بهذا لا تدعه يدخل عليَّ بعد هذا. انتهى .

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٦٦- خُذْ بِحَدِّ السَّيْفِ واتْرُكْ غِمْدَهُ   واعْتَبِرْ فَــضْلَ الفَتَــى دُونَ الحُلَــلْ

(٦٦)- أي اضرب العدوَّ بحدِّ السيف واترك ضربه بغمده بكسر الغين المعجمة: أي بوعائه الذي يدخل فيه؛ لأن النصر مقرون بحدِّه دون غمده كما قال الشاعر:

انتهــزِ الفرصــةَ كــي تحظَــى بهــا   فــالعلمُ مـــرٌّ نـــافعٌ في حـــدِّه
وخــذ بحــد الـسيف واتــركْ غمــده   فالنَّـــصر مقـــرون الـــرَّدى بحـــدِّه

وهذا محمول على ما إذا كان العدوُّ صائلاً على نفسك أو بعضك أو مالك فتردّه بالأخفّ، فإذا لم يمكن ردّه إلا بالسيف فخذه بحدّه دون غمده ولا إثم

عليك لا في الدنيا ولا في الآخرة. ويحتمل أن يراد به الكافر الحربي، فيكون في كلامه ترغيبٌ في الجهاد والغزو الذي هو فرض كفاية على المسلمين؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما «أن النبي ﷺ بعث عبدَ الله بن رواحة في سرية، فوافق ذلك يوم الجمعة، فقال عبد الله: أصلّي الجمعة مع النبي ﷺ ثم أَلْحق بأصحابي، وقد غدا أصحابه، فلما صلّي أتاه النبي ﷺ، فقال: يا ابن رواحة ما لك لم تغدُ مع أصحابك؟ فقال: أحببت أن أصلّي معك الجمعة ثم ألحق بأصحابي، فقال له: لو أنفقتَ ما في الأرض جميعًا ما أدركتَ فضل غدوتهم»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يجتمع غبارٌ في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبدًا»[2]. وعن النبي ﷺ أنه قال: «كل عين باكية يوم القيامة إلا -ثلاثة-: عين بكت من خشية الله، وعين غضت عن محارم الله، وعينٌ حرست في سبيل الله»[3]. ورُوي عن بعض أصحاب النبي ﷺ أنه قال: «السيوف مفاتيح الجنة»[4]. قال: «وإذا التقى الصفان في سبيل الله تزينت الحورُ العين فاطلعن، فإذا أقبل الرجل قلن: اللهم انصره، اللهم ثبته، اللهم أَعِنْه، فإذا أدبر احتجبن عنه وقلن: اللهم اغفر له، فإذا قُتل غفر الله له بكل قطرة تخرج من دمه كلَّ ذنب هو عليه، وتنزل عليه اثنتان من الحور العِين تمسحان الغبار عنه»[5].

وعن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال في قوله تعالى: ﴿ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]: «أرواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في أشجار الجنة تأكل من أيها شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش»[6]. وعن عوف ابن مالك الأشجعي: من أراد أن يكون غازيًا حقًّا مجاهدًا في سبيل الله

---

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث غريب.

(٢) رواه ابن ماجه والنسائي واللفظ له.

(٣) رواه السيوطي في الجامع الصغير عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه السيوطي في الجامع الصغير عن يزيد بن شجرة رضي الله عنه.

(٥) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب، وصححه الألباني.

(٦) رواه ابن ماجه والترمذي وقال: حسن صحيح.

بالسُّنة فليحافظ على خصال عشر:

أولها: أن لا يخرج إلا برضا الوالدين .

وثانيها: أن يُؤدي أمانة الله التي في عنقه من الصلاة والزكاة والحجّ والكفارات، ثم أمانات الناس التي في عنقه من المظالم والغيبة وقول الزور .

وثالثها: أن يدفع إلى أهله ما يكفيهم إقامته .

ورابعها: أن تكون نفقته من كسب حلال، فإن الله تعالى لا يقبل إلا طيبًا.

وخامسها: أن يسمع ويطيع أميره ولو كان عبدًا حبشيًّا بعد ما كان أميرًا عليه.

وسادسها: أن يؤدي حقَّ رفيقه ويبتسم في وجهه كلما لقيه ويمرّضه إذا مرض ويقوم في حوائجه .

وسابعها: أن لا يؤذي في طريقه مسلمًا ولا معاهدًا .

وثامنها: أن لا يفر من الزحف .

وتاسعها: أن لا يغلّ من الغنيمة شيئًا قبل القسمة؛ فإنه تعالى قال: ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران: ١٦١].

وعاشرها: أن يريد بالغزو نصرة المؤمنين؛ قاله في «تنبيه الغافلين». وقوله: **(واعتبر فضل الفتى دون الحلل)** أي خذ العلم عمن يؤخذ عنه من أهله كائنًا من كان، سواء كان فقيرًا أو غنيًّا، مالكًا أو مملوكًا، ولا تحتقر الفاضل إذا كان فقيرًا؛ لأن شأن العلماء العالمين قلَّة الدنيا في أيديهم، وكذلك إذا قام به فقرٌ أخروي، كتقصيره في الأعمال الصالحات، وارتكابه بعض المنهيات؛ لأن ضرر ذلك عليه لا على غيره كما قال تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [فصلت: ٤٦].

وقوله **(دون الحلل)** بضم الحاء المهملة جمع حُلَّه. قال في المصباح: والحلة بالضم لا تكون إلا من ثوبين من جنس واحد والجمع حُلَل، مثل غُرفة وغُرف انتهى . أي لا تنظر إلى الحلل: أي الملابس الفاخرة على شخص جاهل؛ لأن هذا افتخار دنيوي لا طائل تحته . قال في «غرر الخصائص»: نظر معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه إلى أوس العذري الخطيب وازدراه، فتبيّن لأبي أوس ذلك في

وجهه، فقال: يا أمير المؤمنين إن العباءة لا تكلمك وإنما يكلمك من فيها، وكمال الرجل أدبه لا ثيابه، ثم أنشد:

إنــي وإن كنــتُ أثــوابي ملفقــة ... ليـست بخُـزٍّ ولا مـن نـسج كتّـانِ
فــإن في المجــد همــاتي وفي لغــتي ... فــصاحةٌ ولــسان غــيرُ لحَّــانِ

ودخل كثير بن عبد الرحمن على مروان بن عبد الملك في أول خلافته، فأقمحته عينه، فقال كثير: يا أمير المؤمنين كلٌّ عند نفسه واسع الفِناء، شامخ البناء، عالي الثناء، وقال:

تــرى الرجــلَ النحيــف فتزدريــهِ ... وفي أثوابــــه أســــدٌ هــــصورُ
ويُعجبــــك الطريــــر فتبتليــــهِ ... فيُخلــف ظنــك الرجــلُ الطريــرُ
فمــا عِظَــمُ الرجــالِ لهــم بــزين ... ولكــــن زيــــنهم كــــرمٌ وخــــير

فتعجّب منه عبد الملك وأمر له بصلة حسنة، وكان كثير هذا قصيرًا جدًا لا يبلغ طوله ضروع الإبل لقصره، وكان إذا دخل باب عبد الملك يقول له حين يراه طأطئ رأسك لئلا يصيبه السقف تهكمًا به. قال عبد الملك بن عمر: قَدِمَ علينا الأحنف بن قيس الكوفة أصلع الرأس، متراكب الأسنان، مائل الذقن، ناتئ الجبهة، جاحظ العينين خفيف العارضين ولكنه إذا تكلم جلا عن نفسه سائر العيوب. ونظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الأحنف وعنده الوفد والأحنف ملتفّ بعباءة، فترك القوم واستنطقه، فتكلم بكلامه البليغ المصيب، فلم يزل عنده في علياء إلى أن عقد له من الرياسة ما كان له ثابتًا إلى أن فارق الدنيا. انتهى.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٦٧- لا يضُرُّ الفَضْلَ إقْــلالٌ كَمَــا ... لا يَضُرُّ الــشَّمْسَ إطْبــاقُ الطَّفَــلْ

(٦٧)- هذا البيت في قوّة التعليل لقوله (واعتبر فضل الفتى دون الحلل): أي لا يضرّ أهلَ الفضل والعلم الإقلالُ والفقر، كما أن إطباق الطفل وكثرته لا يضرّ الشمس، فقوله **(كما لا يضرّ الشمس إطباق الطَّفَل)** تنظير وتوضيح لما ذكره من أن الفقر والإقلال لا يضر أهل العلم والفضل، فإنه ما دامت الشمس موجودة فالنهار موجود، **والطَّفل** بالطاء المهملة آخر النهار .

وقد سمَّت العرب ساعات النهار بأسماء؛ فأولها **البكور** من طلوع الفجر إلى الشمس، ثم **الشروق**، ثم **الرأد**، ثم **الضحى**، ثم **الزوال**، ثم **الظهر**، ثم **الأصيل**، ثم **العصر**، ثم **الطُّفل**، ثم **الغروب**؛ قاله في شرح لامية الطغرائي عند قوله:

مجـدي أخـيرًا ومجـدي أولاً شـرعُ والشمسُ رأدُ الضحى كالشمس في الطَّفَـل

وما أحسن قول الملاّح في تخميسه:

إنمـا المـرءُ بعلـم عُلمـا لـيس بـالأموال يحـوي عظمـا

وكـذا الفـضل كـرزق قـسما (لا يـضرّ الفـضلَ إقـلالٌ كمـا

لا يضرّ الشمسَ إطباق الطَّفَـل)

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٦٨- حُبُّكَ الأَوْطَانَ عَجْـزٌ ظَـاهِرٌ فاغْتَرِبْ تَلْـقَ عَـنْ الأَهْـلِ بَـدَلْ

(٦٨)- أي تعلُّقك **بالأوطان** جمع وطن وهو مكان الإنسان ومقره عجز ظاهر لكل أحد، **(فاغترب)**: أي سافر عن وطنك ودارك، **(تلق)**: أي تجد بدلاً عن أهلك؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يزال في عون عبده سواء كان مقيمًا أو مسافرًا. وفي هذا البيت إشارة إلى أنه تجب الرحلة أو تُستحب في طلب العلوم والفوائد، فمن لم يجد معلِّمًا يعلمه في بلده ما يحتاج إليه في أمور دينه ومعاشه فيرحل وجوبًا في الواجب وندبًا في المندوب. فقد رحل سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام للاستفادة من الخضر عليه الصلاة والسلام. ورحل جابر ابن عبد الله الأنصاري مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد. ورحل عتبة بن الحرث من مكة إلى المدينة في مسألة واحدة.

واعلمْ أنه يحصل للإنسان في غربته فوائد عظيمة كما قيل:

تغرَّب عن الأوطانِ في طلَب العُـلا وسافرْ ففي الأسْـفار خَمـسُ فوائـد

إزالـة هـمٍّ واكتـساب معيـشةٍ وعلـمٌ وآدابٌ وصُـحبةُ ماجـد

فإن قيل: إن حروف الغُربة مجموعة من أسماء دالة على الهلاك أو ما يئول إليه؛ فالغين من غرور وغم وغلبة وغرّة، والراء من روْع وردَى: أي هلاك، والباء من بلوى وبؤس وبوار وهو الهلاك، والهاء من هوان وهول وهم وهلاك.

أُجيب بأن محلّ ذلك إذا كانت الغربة في غير طلب المعالي والفوائد، وأما إذا كانت لذلك فهي أفضل من الإقامة في بلده، وعلى هذا يُحمل كلام الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين.

وفي كلام الناظم رحمه الله تعالى حثٌّ على طلب الرفعة وتصريحٌ بأنها لا تحصل إلا بالجد والاجتهاد ومفارقة مواطن الذل والهوان، فإن الذل في الإقامة والعز في الارتحال.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٦٩- فَبِمُكْثِ المَاءِ يَبْقَى آسِنًا وَسُرَى البَدْرِ بِهِ البَدْرُ اكْتَمَلْ

(٦٩)- أشار الناظم رحمه الله تعالى إلى ذكر مثالين في غاية الحسن يوضح بهما ما ذكره من الأمر بالغربة ومفارقة الأوطان:

أحدهما: أن الماء الصافي من الأكدار إذا استمر في محل واحد من غير ورود ماء آخر عليه يصير آسنًا: أي متغيرًا منتنًا. قال في المصباح: أسَن الماء أسونًا من باب قعد: تغيَّر فلم يُشرب فهو آسن على وزن فاعل، وأسِن أسنًا فهو أسِن مثل تعب تعبًا فهو تعب لغةٌ. انتهى.

ثانيهما: أنه لولا غربة القمر وانتقاله من منزلته لم يحصل له ذلك الكمال والشرف والنور. و(البدر): القمر ليلة كماله، ولكن مراد الناظم الهلال. ولله در الحسين بن علي الطغرائي حيث قال:

إن العُلا حدَّثتني وهي صادقةٌ فيما تحدِّث أن العِز في النقل

لو أن في شرف المأوَى بلوغ منًى لم تبرحِ الشمسُ يومًا دارة الحمل

والمعنى أن التجارب أفادتني علمًا صادقًا أن العز في النقل، ثم أقام دليلاً على ذلك بقوله: ولو أن في شرف المأوى، البيت: أي لو أن في الإقامة بالمكان، ولو كان شريفًا بلوغ ما يتمناه الإنسان لم تزل الشمس مقيمة في أشرف بروجها. ولبعضهم:

قالوا نراك كثيرَ السَّير مجتهدًا في الأرض تنزلها طورًا وترتحل

فقلتُ لو لم يكن في السَّير فائدة ما كانت السَّبعُ في الأبراج تنتقل

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٧٠- أَيُّهَا العَائِبُ قَوْلِي عَابِثًا   إِنَّ طِيبَ الوَرْدِ مُؤْذٍ بِالْجُعَلْ

(٧٠)- أشار الناظم رحمه الله تعالى في هذا البيت والأبيات السبعة التي بعده إلى دفع الأشخاص المعرضين عن نظمه العائبين له حسدًا وبغضًا وعنادًا. أي أيها العائب قولي لا تعبه؛ لأنه لا طريق لك إلى عيبه، إنما عبتَه أنت لأن رائحته طيبة جدًا بمعنى أنها نافعة في الدِّين لِمَنْ سمعها سماع قبول واتعاظ، فهي أذكى من رائحة الورد، وأنت أيها العائب بمنزلة الجُعَل في كونك إذا سمعت المواعظ أعرضتَ عنها وتأذيت من سماعها، كما أن الجُعَل إذا شمّ تأذى كثيرًا وربما هلك لوقته، و(الجُعَل) بضم الجيم وفتح العين المهملة: الحرباء، وجمعه جعلان مثل صرد وصردان. انتهى. و(الحرباء) بكسر الحاء وسكون الراء المهملتين بعدهما موحدة، قال في «المصباح» أيضًا: الحرباء ممدود يقال هي ذكَر أُمّ حُبَيْن. انتهى. وأُم حبين بالحاء المهملة بعدها باء موحدة بالتصغير .

قال في «المصباح» أيضًا: أُمّ حبين بلفظ التصغير ضربٌ من العظاء منتنة الريح. قيل سُميت أُمّ حبين لعظم بطنها أخذًا من الأحبن: وهو الذي به استسقاء. قال الأزهري: أم حبين من حشرات الأرض تشبه الضبّ. انتهى. وقوله ضرب من العظاء بكسر العين المهملة وبالظاء المشالة ممدودًا. قال في «المصباح» أيضًا: العِظاء بالمد لغة أهل العالية على خِلقة سامّ أبرص وهو كبار الوزغ، والعظاية لغة تميم وجمع الأولى عظاء، والثانية عظايات. انتهى .

قال بعضهم: وهذا الطائر الذي هو الحرباء موجود في بلاد الشام كثيرًا، وذكر من رآها أنها إذا وقع عليها ثوبٌ أبيضَ صار لونها أبيض، أو أصفر صار لونها أصفر مثله، وأنها إذا رأت ذبابة على الأرض وهي على الشجرة التقطتها بلسانها لطول لسانها. انتهى. قال الإمام القزويني في «عجائب المخلوقات»: لَمّا كان الحرباء خلقًا بطيء النهضة وكان لابد له من قوت، خلقه الله على صوره عجيبة، فخلق عينيه تدور إلى كل جهة من الجهات حتى يدرك صيده من غير حركة في بدنه، ويبقى كأنه جامد ليس من الحيوانات، ثم أعطي مع السكون خاصية وهي أنه

يتشكل بلون الشجرة التي يكون عليها حتى يكاد يختلط لونه بلونها، ثم إذا قرب منه ما يصطاده من ذباب وغيره يُخرج لسانه ويخطفه بسرعة كلحوق البرق ثم يعود إلى حالته كأنه جزء من الشجرة، وخلق الله لسانه بخلاف المعتاد ليلحق به ما بَعُد عنه بثلاثة أشبار ونحوها. وإذا رأى ما يخاف منه تشكَّل بشكلٍ يخاف منه كل ما يريده من الجوارح ويكرهه بسبب ذلك التلوّن فتتلوّن إلى حمرة وخضرة وصفرة وما شاءت، وهو ذكَر والجمع الحرابي، والأنثى حرباء. انتهى.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٧١- عُدْ عَنْ أسْهُمِ لَفْظى واسْتَتِرْ   لا يُصِيبَنَّكَ سَهْمٌ مِنْ ثُعَلْ

(٧١)- **(عد)** بضم العين وسكون الدال أمرٌ من العوْد: أي الرجوع، وحُرِّك بالفتح لأجل النظم: أي ارجع عن أسهم لفظى واستتر منها لأنها سهام مصيبة لا تخطيء أبدًا كسهام بني ثعل بضم المثلثة وفتح العين المهملة: بطنٌ من طيء مشهورون بجودة الرمي، وقد أكثر الشعراء من نسبة الرمي إلى بني ثعل، قال الطغرائي في لاميته:

إني أُريدُ طُروق الحيِّ من إضَم   وقد حماه رماةٌ من بني ثُعَلِ

ولبعضهم:

وحيٌّ مِن كنانة قد رَموني   بما حَوَتِ الكنانة مِن سهام

إذا انتضلوا وما ثُعَلٌ أبوهم   رموك بكلِّ راميةٍ ورامي

كنانة الأولى: القبيلة المشهورة، **والثانية:** وعاء السهام، و**(انتضلوا)** بالضاد المعجمة: تراموا، ولابن الساعاتي رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

فاضِحُ الظبيِ إذا الظبيُ رنا   مخجلُ البدْر إذا البدر كَمَلْ

فارسيٌّ فإذا خاف سطا   نظرة لاذ بطرفٍ من ثُعَلْ

وهذا البيت كالتأكيد للبيت الذي قبله؛ لأنه لما قال:

أيُّها العائب قولي عابثا   إن .... إلخ

أمره في هذا البيت بالعود والرجوع عن التعييب بنظمه؛ لأنه من قبيل الغيبة المحرمة، وهي سهام معنوية مُهلكة لصاحبها إهلاكًا أكثر من إهلاك سهام بني

ثعل الحسية، وقد تقدم الكلام على التحذير عن الغيبة والنميمة عند قول الناظم: **(مل عن النمام واهجره)** البيت.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٧٢- لا يَغُرَّنــكَ لِــينٌ مِــنْ فَتَــى   إنَّ لِلْحَيَّـــاتِ لِينًـــا يُعْتَـــزَلْ

(٧٢)- أي: لا يخدعنك **(لين)** أي سهولة **(من فتى)**: أي شاب قوي، والمراد به هنا أيّ شخص كان، فشمل الناظمَ رحمه الله تعالى وشمل غيره. ثم علل ذلك بقوله: **(إن للحيات)** جمع حية **(لينا يعتزل)**: أي يتنحى عنه ويتباعد منه، فقد شبه الناظم رحمه الله تعالى في هذا البيت والبيتين اللذين بعده نفسه بأشياء لينة في نفسها قاتلة بطبعها، فالناظم رحمه الله تعالى وإن كان لينًا في ذاته هينًا، فله سطوة تُخشى وحركة تدل على قوة بأسه، وحذر رحمه الله تعالى من تلك السطوة فقال: لا تغتر بليني فتجترئ عليَّ بسبب ذلك، فإن ليني إذا أغضبتني يصير كلين الحية، ومن المعلوم أنها وإن كانت لينة في نفسها، فلها سمٌّ قاتل في وقته وساعته. انتهى.

وقال في «غرر الخصائص» ما نصه: قال بعضهم: إن كان في مخالطة الناس خيرٌ فإن تركهم أسلم. وقال بعض الرهبان لرجلٍ: إن استطعت أن يكون بينك وبين الناس سورٌ من حديد فافعل، وإن كان في الجماعة الأُنس فإن في العزلة السلامة، وقيل لبعضهم: ما تجد في الخلوة؟ قال: الراحةُ من مداراة الناس والسلامة من شرهم. ويقال: العزلة عن الناس تُبقي الجلالة، وتستر الفاقة، وتدفع مؤنة المكفأة في الحقوق. وقال بعض الزهاد: لو أن الدنيا ملئت سباعًا وحيَّات ما خفتُها، ولو بقي واحد من الناس لخفتُه. وقالوا: استعذ من شرار الناس وكن من خيارهم على حذر. وقال أبو الدرداء: كان الناس ورقًا لا شوك فيه، فصاروا شوكًا لا ورق فيه.

وقال سليمان: الناس أربعة أقسام: أسود، وذئاب، وثعالب، وضأن؛ فالأسود: الملوك، والذئاب: التجار، والثعالب: القراء المخادعون، والضأن: المؤمن ينهشه كل من يراه. وقال جعفر الصادق لبعض إخوانه: أَقْلِلْ من معرفة الناس وأَنْكر من عرفت منهم، وإن كان لك مائة صديق فاطرح منهم تسعة

وتسعين وكن من الواحد على حذر. انتهى. ولله در القائل:

إيَّاك أن تَصْطفي ممن ترى أحدًا ... ولا تثقْ بامرئٍ في حالةٍ أبدا

ولابن الرومي رحمه الله تعالى:

عدوُّك مِن صديقك مُستفاد ... فلا تستكثرن مِن الصحابِ

فإن الداءَ أكثر ما تراهُ ... يكون مِن الطعام أو الشرابِ

وقال بعضهم:

وزَهَّدَني في النَّاس مَعرفتِي بهم ... وطولُ اختباري صاحبًا بعد صاحب

فلم تُرِنِي الأيامُ خِلاً تُسرني ... مباديه إلا سَاءني في العوَاقب

وما كنتُ أرجوه لِدفعِ مُلمَّة ... ولكنه قد كان إحدَى النوائب

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٧٣- أَنَا مِثْلُ المَاءِ سَهْلٌ سَائِغٌ ... وَمَتَى سُخِّنَ آذَى وَقَتَلْ

(٧٣)- أي: أنا مثل الماء الكثير في كوني لا أتغير بقول الحاسدين والأعداء العائبين لنظمي كما أن الماء الطهور لا يتغير بالجِيَف الواقعة فيه، بل يستمر على الطهورية كما هو منصوص في الفروع[1] وفي كوني سهل الأخلاق سائغ المذاق، لكن إذا آذاني شخصٌ وتغيرت عليه وتوسلت إلى الله في أخذ حقي منه يأخذه الله عاجلاً من حسن ظني في ربي سبحانه وتعالى، كما أن الماء وإن كان عذبًا فراتًا وشرابًا سائغًا، لكنه إذا سُخن بالنار وخرج عن الحد والاعتدال آذى وقتل في الحال كما هو محسوس .

وفي هذا البيت إشارة إلى أن الناظم رحمه الله تعالى كان من أولياء الله تعالى الذين يُغار عليهم كما في الحديث الصحيح «إن الله تعالى قال: مَن عادَى لي وليًا فقد آذنته بالحرب»[2] أي من عاداه من أجل كونه وليًا لله تعالى، وإلا فقد جرى بين الصدِّيق والفاروق وبين العباس وعليّ وكثيرٍ من الصحابة ما جرى، والكل أولياء الله عليهم الرضوان، وقوله فقد آذنته بالحرب بمد الهمزة: أي

(١) هذا إذا كان كثيرًا لا يتغير فيه طعم أو لون أو رائحة.

(٢) رواه السيوطي في الصغير عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني.

أعلمته بأني محارب له: أي أعمل به معاملة المحارب من التجلّي عليه بمظاهر القهر والجلال والعدل والانتقام، وإلا فالعبد لا يُتصوَّر منه محاربة لربه؛ لأنه في أسْر خالقه. انتهى .

فإذا توجه الوليّ إلى ربه في شيء أجابه ونصره كما قال في آخر الحديث «ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه»[1]: فإن قلت: إن جماعه من العباد والصلحاء دعوا وبالغوا فلم يُجابوا. فالجواب أن الإجابة تتنوع، فتارةً يقع المطلوب بعينه على الفور، وتارة يتأخر لحِكمة فيه، وتارة تقع الإجابة بغير المطلوب إذا كان أصلح. انتهى .

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٧٤- أنا كالخَيْزُرَان صَعْبٌ كَسْرُهُ وهوَ لَيِّنٌ كَيْفَما شِئْتَ انْفَتَلْ

(٧٤) أي أنا كخشب الخيزران في كوني لينًا، ومع ذلك صعب الكسر فلا يقدر أحدٌ على أذيتي لِتوكلي على ربي سبحانه وتعالى، وقوّتي وشدتي به تعالى، كما أن الخيزران وإن كان لينًا في نفسه صعبٌ في كسره، فلابد من الاستعانة عليه بالقَدوم ونحوه كما هو محسوس؛ قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، ولا شك أن الشيخ عمر بن الوردي صاحب المنظومة كان من المتوكلين على الله تعالى، ومن العلماء العاملين كما تقدم الكلام عليه في أول الشرح مبسوطًا، نفعنا الله تعالى به، وجعلنا من أتباعه آمين.

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٧٥- غَيْرَ أَنِّي فِي زَمَانٍ مَنْ يَكُنْ فيهِ ذَا مَالٍ هُوَ المَوْلَى الأَجَلّ

٧٦- وَاجِبٌ عِنْدَ الوَرَى إكْرَامُهُ وَقَلِيلُ المَالِ فِيهِمْ يُسْتَقَلّ

(٧٥- ٧٦)- لما ذكر رحمه الله تعالى أن كلامه له رائحة ذكية كرائحة الورد بل أعلى لِمَا اشتمل عليه من المواعظ الجليلة والتحقيق والتدقيق، وأراد رحمه الله تعالى نشره بين الخلائق لأجل أن يزداد ثوابه بكثرة أتباعه الآخذين عنه

---

(١) ذكره ابن تيمية في كتاب «الإيمان» عن أبي هريرة رضي الله عنه.

استثنى وأخبر أنه في زمان لم يكن قابلاً لما يريده من نشر العلوم وإظهار الفضائل، بل هو في زمان أقبل أهله على الدنيا وأعرضوا عن الآخرة، وتقدمت فيه أصحابُ الأموال ولو كانوا جهلة على أهل العلم والفضل، فصاحبُ المال عندهم عزيز مكرم مقبول القول، وأما قليل المال فهو الحقير المستقل الذليل المهان الذي لا تُسمع له كلمة. ولله دَرُّ القائل:

إن الغَنيَّ إذا تكلَّم بالخطا ... قالوا أصبتَ وصدَّقوا ما قالا

وإذا الفقير أصاب قالوا كلُّهم ... أخطأتَ يا هذا وقلتَ ضلالا

إن الدراهمَ في الأماكن كلِّها ... تكسو الرجالَ مَهابةً وجمالا

فهي اللسان لِمَنْ أراد فَصاحةً ... وهي السلاح لمن أراد قتالا

وقالوا: إذا افتقر الرجل اتهمه من كان يأمنه، وأساء به الظن من كان يحسنه، وإذا أذنب غيره يُنسب إليه، ومن كان له صار عليه، ولله در القائل:

يغدو الفقيرُ وكلُّ شيءٍ ضدّه ... والناسُ تُغلق دونه أبوابها

وتراه ممقوتًا وليس بمُذنبٍ ... ويرى العداوة لا يرى أسبابَها

حتى الكلاب إذا رأتْ ذا بزَّةٍ ... أصغتْ إليه وحرَّكت أذنابها

وإذا رأت يومًا فقيرًا عاريًا ... نبحتْ عليه وكشَّرت أنيابها

وقال عبد الملك بن صالح: رُبَّ حَسبٍ دفنه الفقر، ولله در القائل:

الفقرُ يزري بأقوامٍ ذوي حسب ... وقد يُسَوِّدُ غيرَ السيدِ المالُ

وقالوا: الفقر يُخرس لسان الفطن عن حجته، ويجعله غريبا في بلدته، وما أحسن ما قاله بعضهم:

ولا رفعَ للنَّفس الدَّنية كالغِنى ... ولا وضْعَ للنَّفس الشريفة كالفقر

قاله في «غرر الخصائص». وكلام الناظم رحمه الله تعالى بالنسبة لما كان في زمانه وهو آخر القرن السابع وأول الثامن [الهجري]، وكان في الحقيقة زمان الخير والفضل والسيادة، خصوصًا وكان فيه محدِّثون وفقهاء وأصوليون ومتكلمون ونحوهم من علماء الإسلام، فما بالك بزماننا هذا الذي تقدمت فيه الجهلاء على الفضلاء والأشرار على الأخيار، وانقرضت فيه العلماء واشتبه فيه الأمر، وصار القابض فيه

على دِينه كالقابض على الجمر، وحظي فيه القواد والمتمسخرون كما قال الشاعر:

قَـد رُمينـا مِـن الزمـانِ بـسَهمٍ   قَـدَّم النـذلَ والكـريم تـأخَّرْ
مـات مَـن عـاشَ بالفَـضيلة جُوعًـا   وحظـي مَـن يقـود أو يتمـسخرْ

فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، إنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي «الجامع الصغير» قال ﷺ: «إنكم في زمان مَن ترك منكم عُشر ما أُمر به هلك، ثم يأتي زمان مَن عمل منهم بعُشر ما أُمر به نجا»[1].

قال المناوي: إنكم أيها الصحب في زمان بالأمن وعزّ الإسلام، مَن ترك منكم عُشر ما أُمر به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هلك: أي وقع في الهلاك؛ لأن الدين فيه عزيز في أنصاره كثرة، فالترك تقصير بلا عُذر، ثم يأتي زمانٌ يضعف فيه الإسلام ويكثر فيه الظلم ويعمّ فيه الفسق وتقلّ أنصار الدين، وحينئذ من عمل منهم: أي مِن أهل ذلك الزمن بعُشر ما أمر به نجا؛ لأنه المقدور ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] انتهى .

• قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

٧٧ـ كُلُّ أهْلِ العَصْرِ غُمْرٌ، وأنَـا   مِـنْهُمْ فـاتْرُكْ تفَاصِـيلَ الجُمَـلْ

(٧٧)- أي جميع **(أهل العصر)**: أي الدهر المعهود، وهو عصره رضي الله تعالى عنه، فما بالكم بعصرنا. **(غمر)** بضم الغين المعجمة: أي لم يجرّب الأمور، وأصله الصبي الذي لا عقل له، ثم أُطلق على كل من لا خير فيه ولا عقل له ولا رأي ولا عمل صالح، ثم إنه رحمه الله نصّ على نفسه بأنه (غمر) بقوله: (وأنا منهم) بعد دخوله في القضية الكلية وهو قوله (كل أهل العصر غمر) تواضعًا لربه عزّ وجلّ، ومن المعلوم أن من تواضع لله رفعه، ثم أمر بترك البحث والنظر في أحوال الخلق بقوله (فاترك تفاصيل الجمل) أي اترك تفصيل الأشياء المجملة المجموعة، وعليك بنفسك فاجتهد في خلاصها بالأعمال الصالحة، ولا تنظر إلى عيوب غيرك لأنه تضييعٌ للزمان فيما لا يعنيك، ومِن حُسْنِ إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. ولله درّ القائل:

---

(١) رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

صُنِ العِرضَ وابذلْ كلَّ مالٍ ملكتَه ... فإنّ ابتذالَ المال للعِرض أصونُ
ولا تُطلقن منك اللسانَ بسَوْأة ... فعِندك عَوراتٌ ولِلناس أَلْسُن
وعينُك إن أبدتْ إليك معايبًا ... بقومٍ فقُلْ يا عين للناس أَعينُ
وعاشرْ بمعروفٍ وسامحْ مَن اعتدى ... وفارقْ ولكن بالتي هي أَحْسَنُ

قال بعضهم: إذا وجدتَ قساوةً في قلبك وضعفًا في بدنك وحرمانًا في رزقك، فاعلم أنك تكلّمت بما لا يعنيك، فكلامُ الشخص فيما لا يَعنيه يُقسي القلب، ويُضعف البدن، ويعسِّر أسباب الرزق. ورَوى أبو عبيدة عن الحسن أنه قال: مِن علامات إعراض الله عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه. ومرّ حسّان بن أبي سفيان بغُرفة فقال: متى بنيت هذه ؟ ثم أقبل على نفسِه وقال: تسألين عمًّا لا يعنيك لأعاقبنكِ بصوم سَنة، فصامه .

• تتمه في ضابط ما يعني وما لا يعني:

فالذي يعني الإنسان ما يتعلق بضرورة حياته في معاشه مما يُشبعه من جوع، ويرويه من عطش، ويستر عورته، ويُعفّ فرجه ونحو ذلك مما يدفع الضرورة دون ما فيه تلذذ وتنعم، وما يتعلق بمعاده مما فيه ثواب. **والذي لا يعني** هو ما لا تدعو الضرورة إليه من اللعب والهزل وكلّ ما يخلّ بالمروءة، والتوسع في الدنيا وطلب المناصب والرياسة وحبّ المحمدة ونحو ذلك مما لا يعود عليه منه نفعٌ أخروي؛ فإنه ضياع للوقت النفيس الذي لا يمكن أن يعوّض فائته.

وقال بعضهم: **ما لا يعنيه** هو ما يخاف فيه فوات الأجر، **والذي يعنيه** هو ما لا يخاف فيه ذلك .

وقال بعضهم: **ما يعنيه** هو ما يعود عليه منه منفعة لدِينه أو دنياه الموصلة لآخرته، **وما لا يعنيه** عكسه، وهو ما لا يعود عليه منفعة لدينه أو دنياه الموصلة لآخرته، بخلاف دنيا تقطعه وتفسد عليه آخرته. انتهى.

❊ ❊ ❊

وهذا آخر كلام الناظم رحمه الله تعالى والحمد لله أولا وآخرا .

اللهم صلِّ على سيدنا محمد الذي شرّفته على سائر الأنام، ورفعته إلى أشرف محفل ومقام، وجعلته دليلاً إلى دار السلام، اللهمّ فكما أمرتنا بالصلاة عليه بلّغ اللهم صلاتنا مِنّا إليه يا رب العالمين، اللهمّ احشرنا في زمرته، واجعلنا ممن فاز بمتابعته وائتمّ بشريعته واقتدى بصحابته واهتدى بسُنَّته، اللهم أورِدنا حوضه وأرنا وجهه ولا تحرمنا شفاعته، واجمعْ بيننا وبينه في مستقرّ الرحمة والرضوان يا ذا الجلال والإكرام. والله سبحانه وتعالى أعلم.

* * *

قال مؤلفه رحمه الله تعالى:

وكان الفراغ من كتابته يوم الجمعة المبارك سلخ جمادى الثانية سنة ١٢٨٥هـ خمس وثمانين ومائتين وألف من هجرة نبيٍّ خُصَّ بالفضل والشرف، على يد كاتبه الفقير **مسعود بن حسن بن أبي بكر بن حسن ابن بساط الحسنى القناوي الشافعي** غفر الله له ولوالديه، ولمن دعا له بالمغفرة. آمين .






رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com